دراسات كتابيّة ١

أمثال الملكوت

كوستي بندلي

منشورات النّور

كوستي بندلي

أمثال الملكوت

شرح أمثال إنجيلية

منشورات النور
١٩٨٣

للمؤلف
(في منشورات النور)

السبل الى الله	طبعة ثالثة
اله الالحاد المعاصر	نفد
الله والتطور	طبعة ثالثة
الجنس ومعناه الانساني	طبعة ثانية
مواقف الآباء ومشاكل البنين	
مدخل الى القداس الالهي	طبعة ثالثة
مدخل الى العقيدة المسيحية	طبعة ثالثة
ألوهة المسيح	طبعة ثانية
مجالس الرعايا والنهضة	
الطائفية : رأي مسيحي	نفد
الانجيل في الحياة	(بالفرنسية)

في سلسلة «الانجيل على دروب العصر»
- البعد الاجتماعي للحياة الروحية
- الايمان ومجتمع الاستهلاك
- موقف ايماني من الطائفية

في سلسلة «تساؤلات الشباب»

مع تساؤلات الشباب	طبعة ثانية
خلاف الأهل والابناء	
الحرية والشباب	

في سلسلة «القديسون»
- يوحنا المعمدان

في سلسلة «نحن واولادنا»
- مواقفنا من اولادنا : امتلاك او اطلاق
- عناد الولد وسلطة الوالدين
- عصبية الولد
- الولد الخجول
- الغيرة الأخوية
- المقومات النفسية الاسرية لتربية مسيحية سليمة للطفل

في سلسلة «تعرّف الى كنيستك»
- العائلة . . . كنيسة

«دراسات كتابيّة»

١ ـ امثال الملكوت كوستي بندلي
٢ ـ الرسالة الاولى الى أهل تسالونيكي الأب بولس طرزي

قيد الاعداد

شرح انجيل يوحنا رهبنة دير الحرف
الرسالة إلى أهل غلاطية الأب بولس طرزي

الفهرست

توطئة

هذا الشرح للأمثال يقصد خاصة إظهار ما كان يعنيه الرب يسوع نفسه عندما تلفّظ بها . وهذا ما يفترض تحديد الظرف الذي قيل فيه كل منها والجمهور الذي كان موجَّهاً إليه ، كما أنه يفترض دراسة لغوية دقيقة للنص (بالرجوع إلى أصله اليوناني وأحياناً بمحاولة استعادة الصيغ الآرامية التي تكلم بها الرب يسوع والتي يترجمها هذا النص اليوناني) ومقارنته مع الأدب الديني اليهودي ومع أسفار العهد القديم ، ويتطلب كذلك استناداً إلى المعلومات التاريخية والأثرية التي تلقي ضوءاً على البيئة التي عاش وتكلم فيها الرب يسوع وعلى قوانينها وعاداتها ونمط معيشتها . مروراً بهذا المجهود الشاق نستطيع أن نستقصي ما قصده الرب يسوع بالضبط في كل من هذه

الأمثـال التـي كان من خلالهـا يكشف لسـامعيه أسرار الملكوت الذي به أتى إلى العالم . وهكذا يتـاح لنـا إذا تأملنا روحياً في الأمثـال وحاولنـا أن نترجمهـا إلى حياتنـا الحاضرة ، أن ننطلق لا من تصورات ذاتية عن معانيهـا بل من المعنى الذي شاءه لها الرب نفسه . فيكون التنقيب العلمي الرصين وسيلة لاستكشاف الرسالة الانجيلية في أصالتها المحيية .

إن من بين الذين خاضوا عملية التنقيب هذه يحدوهم شوق عظيم إلى تقصي معانـي كلمات الـرب ، الشـارح الألماني الكبير للكتاب المقدس **يواكيم جارامياس**، إستاذ العهد الجديد في جامعة غوتنغن .

إن الدراسات التي سوف تلي هذه التوطئة تستلهم عن كثـب أحـد كتبـه «أمثـال يسـوع» (في ترجمتـه الفـرنسية الصادرة عن منشورات Le Seuil ، سنة ١٩٦٨)، وهـو كتاب يجمع إلى الدقة والعمق السلاسة والوضوح.

لن يتناول الشرح اللاحق الأمثال كلهـا ، إنمـا عدداً منها موزعاً حسب الموضوع وفقاً للجدول التالي :

١ ـ الأمثال التي تعلن رأفة الله بالخطأة : مثل العشاء

الكبير ، مثل الإبن الشاطر ، مثل الخروف الضائع ، مثل الدرهم الضائع ، مثل عمّال الكرم ، مثل الفرّيسي والعشّار.

٢ ـ الأمثال التي تدعو إلى الثقة بخلاص الله : مثل حبة الخردل ، مثل الخميرة ، مثل القاضي الظالم ، مثل الصديق الذي طُرق بابه ليلاً.

٣ ـ الأمثال التي تدعو إلى السهر لمواجهة الأزمة المصيرية العتيدة : مثل الوكيل الخائن ، مثل الغني ولعازر ، مثل المدعو الذي لم يكن مرتدياً لباس العرس ، مثل العذارى العاقلات والعذارى الجاهلات .

٤ ـ الأمثال التي توضح كيف ينبغي أن يحيا من تتلمذ ليسوع : مثل الكنز في الحقل ، مثل اللؤلؤة الفريدة ، مثل السامري الشفوق، مثل المدين عديم الشفقة.

الأمثال التي تعلن رأفة الله بالخطأة

مقدمة

في عهد يسوع كان يصنّف في عداد الخطأة :

١ ـ الذين كانوا يسلكون سلوكاً منافياً للأخلاق (كالزناة مثلاً) .

٢ ـ الذين كانوا يمارسون مهناً كانت تعتبر مفسدة ، كالعشّارين (لأنهم كانوا يجنون أرباحاً غير مشروعة) ، وجباة الضرائب ، والرعاة (لأنهم كانوا يُتهمون بإطلاق قطعانهم على أراضي الغير وباقتطاع قسم من محصول القطيع لأنفسهم عوض تسليمه لصاحب القطيع الذي استأجرهم لرعايته) ، والحمّارين والباعة المتجوّلين والدبّاغين .

كان هؤلاء يُحرمون من حقوقهم المدنيّة (فلا تقبل شهادتهم في المحاكم ولا يحق لهم أن يشغلوا مركزاً في الإدارة العامة) ، وكان « الأتقياء » ، من فرّيسيين (وهم أعضاء فرقة دينية متشددة في تطبيق الشريعة) وكتبة (أي لاهوتيين) ، يحتقرونهم ويأبون مخالطتهم .

أمّا يسوع فقد خالط هؤلاء ليحمل إليهم رسالة المحبة والخلاص ، وقد كان يستقبلهم إلى مائدته ويأكل إلى موائدهم . وقد لمس عندهم شعوراً بفقرهم إلى الله وبالتالي استعداداً للتوبة لم يكونا متوفرين عند الكثيرين من « الأتقياء » وعلماء الشريعة الذين كانوا بسبب اعتدادهم بتقواهم وانتفاخهم بأنفسهم واحتقارهم للآخرين غير مستعدين للإهتداء الحقيقي إلى الله وبالتالي رافضين لرسالة يسوع .

هؤلاء كانوا يأخذون على يسوع مخالطته «للخطأة»، ويشكّون بصلاحه بسبب سلوكه هذا ، ويحاولون أن يشككوا به أتباعه. إن الأمثال التي سوف يلي شرحها في هذا الباب موجّهة إلى هؤلاء الخصوم ويُقصد بها الردّ عليهم بإيضاح مواقف الله التي يجسّدها يسوع في تعاطيه الرؤوف مع المنبوذين.

مثل العشاء الكبير

(لوقا ١٤ : ١٦ ـ ٢٤)

عدد ١٦ ـ ١٧ :

« صنع رجل عشاء فاخراً ، ودعا إليه كثيراً من الناس ، ثم أرسل عبده ساعة العشاء يقول للمدعوين : تعالوا ، فكل شيء معدّ لكم » .

إن تجديد الدعوة في ساعة الوليمة كان يُعتبر من باب الإمعان في التكريم ، وكان هذا السلوك شائعاً عند عليّة القوم في أورشليم .

عدد ١٨ : « فأجمعوا كلهم على الإعتذار ، قال له الأول : قد اشتريت حقلاً وأنا مضطر إلى أن أذهب فأراه ، أسألك أن تعذرني » .

إن العبارة اليونانية المستعملة apo mias تشير إلى أن المدعوين أخذوا بغتة يعتذرون ، مما يشير إلى أنهم أرادوا أن يكسفوا صاحب الدعوة برفضهم تلبيتها بعد أن انتهى من إعدادها .

عدد ١٩ : « وقال الأخر : قد اشتريت خمسة فدادين ، وأنا ذاهب لأجرّبها ، أسألك أن تعذرني » .

« خمسة فدادين » أي خمسة أزواج من الثيران . إن زوجاً من الثيران يستطيع أن يفلح ، في بحر سنة ، معدّل ٩ إلى ٤٥ ، ٩ هكتاراً ، إذا كانت الأرض جيدة . الرجل في المثل اشترى خمسة فدادين بقر ، وهذا ما يشير إلى أنه يملك على الأقل ٥×٩= ٤٥ هكتاراً من الأرض . وبما أن رسالة ارستاوس (وهي وثيقة تعود إلى ما بين ١٤٥ و١٢٧ ق . م .) تعلمنا أن متوسط ما كان يملكه الفلاحون اليهود في ذلك العهد كان ٢٧,٦٥ هكتاراً ، يكون الرجل المذكور في المثل من كبار الملاكين .

عدد ٢٠ : « وقال آخر : قد اتخذت امرأة فلا أستطيع المجيء » .

إن العبارة المستعملة في النص اليوناني تشير إلى أن الزواج حصل من فترة وجيزة جداً . كانت العادة في ذلك

العهد أن لا يدعى إلى الولائم سوى الرجال . لذا كانت حجة هذا المدعو أنه لا يستطيع أن يترك زوجته الجديدة وحدها .

عدد ٢١ : « فرجع العبد وأخبر سيّده بذلك ، فغضب رب البيت وقال لعبده : سر عجلاً إلى ساحات المدينة وشوارعها وأت بالفقراء والزمنى والكسحان والعرجان إلى هنا » .

كان هؤلاء كلهم في ذلك الحين حكماً من الفقراء المتسولين . إن صاحب الدعوة يتوجّه بدعوته إلى هؤلاء حنقاً على الأغنياء الذين كسفوه .

عدد ٢٢ ـ ٢٤ : « فقال العبد : سيّدي ، قد أجري ما أمرت به وبقيت مقاعد فارغة ، فقال السيّد للعبد : سر إلى الطرق والأماكن المسيّجة ، واضطر من فيها إلى الدخول ، حتى يمتلىء بيتي . إني أقول لكم : لن يذوق عشائي أحد من أولئك المدعوين » .

يؤمر الخادم هنا بالانطلاق ليأتي بالذين لا مأوى لهم ، المتسكعين على حافة الطرق وحول سياجات الكروم ، ويطلب منه أن « يضطرهم » إلى الدخول ، ذلك لأن الناس ، حتى أفقرهم ، كانوا ملزمين بموجب

قواعد اللياقة الشرقية أن يتمنعوا لأول وهلة عن قبول الضيافة المقدمة لهم ، وكان المفروض عند ذاك أن يمسك بيدهم وأن يشدوا بضغط لطيف إلى داخل البيت .

تبدو هذه القصة لأول وهلة بعيدة عن الواقع ، وكأن الرب ابتكرها لقيمتها الرمزية ليس إلاّ . وأبعد ما فيها ظاهرياً عن الواقع العنصران التاليان :

إن المدعوين أجمعوا فجأة على رفض الدعوة وكأنهم اتفقوا على ذلك .

إن صاحب الوليمة استبدلهم بمتسولين ومتشردين ، وهذا ما يبدو غاية في الغرابة. صحيح أن دعوة متسول إلى الاشتراك في وليمة كان يعتبر من أعمال البر (راجع طوبيا ٢ : ٢) ، ولكن قاعة الوليمة هنا مليئة بالمتسولين .

إلاّ أن هذا الافتراض تنفيه أبحاث حديثة أثبتت أن يسوع إنما يلمح في هذا المثل إلى قصة كانت معروفة جيداً لدى سامعيه ، الا وهي قصة العشّار الثري بارمجان والكاتب (أي اللاهوتي) الفقير. هذه القصة وردت في التلمود الفلسطيني (ومعروف ان التلمود هو مجموعة الشرائع والعادات والتقاليد والآراء اليهودية، وقد جمعها

معلّمو الدين اليهودي). وقد كان يسوع يعرفها ولا شك لأنه يستخدم خلاصتها في مثل الغني ولعازر كما سوف نرى.

تروي القصة المذكورة أن العشّار الغني بارمجان توفي فأقيم له مأتم فخيم، وعطّل جميع الناس أعمالهم لأنهم أرادوا أن يواكبوه إلى مثواه الأخير. وفي هذا الوقت بالذات توفي كاتب (أي لاهوتي) تقي ولم يهتم أحد بدفنه. فكيف يسمح الله بذلك؟ الجواب هو أن بارمجان، مع أنه كان بعيداً عن التقوى، كان قد صنع عملاً باراً قبل أن يفاجئه الموت بقليل. وبما أن ساعة الموت حاسمة، فإن كل الأعمال السيّئة التي سبق أن ارتكبها لم يكن بوسعها أن تلغي هذا العمل الصالح، لذا أخذه الله بعين الاعتبار فمنح للعشّار على سبيل المكافأة مأتماً مهيباً. ولكن ما الذي صنعه بارمجان من برّ يا ترى؟ أنه كان قد أعدّ وليمة كبرى لأعضاء المجلس البلدي، ولكن هؤلاء لم يلبّوا الدعوة. فأمر عندئذ أن يؤتى بالفقراء وأن يطعموا المآكل التي أعدّت، لكي لا تتلف. هذا ما يفسّر لنا السلوك الغامض الذي سلكه المدعوون في المثل الذي نحن بصدده، والمذكور في لوقا ١٤ : ١٨ ـ ٢٠. فالمضيف عشّار حديث النعمة دعا إلى

وليمة بغية التودد إلى العائلات القديمة ، ولكن هذه برأي واحد جافته ورفضت دعوته متعللة بحجج واهية . فحنق عليها ودعا الشحاذين إلى وليمة ، ليبيّن للوجهاء أنهم ليسوا وحدهم في الوجود وأنه من الآن فصاعداً لن يتعاطى معهم .

إن يسوع الذي لم يتورع عن تصوير حنان الله الذي لا يحد من خلال صورة القاضي الظالم ، لم يتردد هنا في اختيار سلوك العشار للإشارة إلى غضب الله وحنوّه . صحيح أن دوافع العشار عندما دعا الفقراء إلى وليمته لم تكن متجردة ولا سامية (وكذلك دوافع القاضي الظالم الذي أنصف الشاكية ليتخلص من لجاجتها ، كما سنرى) . ولكن هذا لم يمنع يسوع من اتخاذ أمثلة كهذه ، لا بل أنه قصد استعمالها ليعطي لتعليمه وقعاً أكبر مستمداً من عنصر المفاجأة .

بإمكاننا إذاً أن نتصوّر سامعي يسوع وهم يبتسمون بسخرية لسماعهم قصة الرفض المتكرر الذي صدم به حديث النعمة ويتخيّلون غيظه شامتين ، ثم يقهقهون لتصورهم وجهاء القوم متربصين وراء نوافذهم يتفرجون بهزء على موكب المدعوين رثيثي الثياب يتوافدون إلى بيت العشّار الحزين . وإذا بيسوع يفاجئهم بقوله :

« ألـم تفهمـوا المقصـود ؟ إنـكم باستهزائـكم بهـذا الإنسان تستهزئون بالإله الحي. ألم يدعكم الإنجيل ؟ ولكنـكم ، بسبـب كبريائـكم واكتفائيتـكم ، صددتـم دعوته . والآن تنظرون بازدراء وهزء إلى موكب البائسين الذي دعي عوضاً عنكم ؟ لن يأكل أحد منكم خبزاً في ملكوت الله » .

لا يمكن فهم هذا المثل على حقيقتـه إن لم ننتبـه إلى الفرح الذي يدوّي في هذا الهتاف: كل شيء قد أُعـدّ. هتـاف يرجّـع الرسـول بولس صداه عندمـا يكتـب إلى الكورنثيين : « ها هوذا الآن الوقت المرضيّ ، وها هوذا الآن يوم الخلاص » (٢ كور ٦ : ٢) .

إن الله يحقق وعده ويدعو الناس بيسـوع المسيح إلى وليمة الخلاص. ولكن ، إذا استهان « أولاد الملكوت » ، أي اللاهـوتيون وجماعـات الأتقياء ، بدعـوة الله ، فالمحتقـرَون والـذين يبـدون وكأنهـم بعيدون عن الله سيدخلون عوضاً عنهم . أمّا الأولـون فسيجـدون باب قاعة الوليمة مغلقاً أمامهم وسيسمعون من وراء البـاب صوتاً يهتف بهم : لقد فات الآوان !

مثل الابن الشاطر

(لوقا ١٥ : ١١ ـ ٣٢)

الأصح أن يُسمّى هذا المثل : مثل محبة الوالد ، وذلك لأن الأب ، لا الابن ، يحتل في القصة مركز الصدارة .

عدد ١٢ ـ «**فقال أصغرهما لأبيه: يا أبت أعطني النصيب الذي يعود عليّ من المال**» بما أن الإبن البكر كان، شرعاً وفقاً لما حدّده سفر تثنية الاشتراع (٢١ : ١٧)، ينال حصة مزدوجة، تكون إذاً حصة الإبن الاصغر في هذا المثل ثلث املاك الوالد. امّا كيفية انتقال الاملاك من الوالد الى الابن، فقد كان الشرع اليهودي يحددها بطريقتين: الوصيّة أو الهبة. وفي حال الهبة كانت القاعدة أن يحصل الإبن على الرأسمال فوراً ولكنه لا يحصل على الايراد إلاّ بعد وفاة الوالد، أي إن الإبن كان

يتملك لكن دون أن يتاح له التصرف بملـكه أو التمتـع بإيراد هذا الملك. إلاّ أن الابن الأصغر يطلب هنا ليس حق الملكية فحسب بل حق التصرف بهـا أيضـاً، وذلك لكي يتسنـى له ان يعيش حياة مستقلـة. ونـرى الوالـد يوافقه على طلبه هذا فيمنحه أكثر مما يعطيه الشرع.

عدد ١٣ - « **جمع الابن الأصغر كل ما يملك**» : أي أنه باع كل حصته من الرزق وحوّلها الى مال. «**وقصد الى بلـد بعيد**» . كان عدد اليهـود في الشتـات في ذلك العهـد يربـو على أربعـة ملايين ، مقابـل نصف مليون يهـودي قاطـن في فلسطـين . هذا ما يشـير الى حجـم الهجرة ، التي كانت تدفع إليهـا من جهـة فرص الحياة المغـرية في مراكز الشرق التجـارية ومـن جهـة أخـرى المجاعات المتواترة التي كانت تحصل في فلسطين . ويبدو أن الشاب لم يكن متزوجاً ، مما يسمح باستنتاج عمره ، فقد كان الرجال يتزوجون في ذلك العهد حوالي الثامنـة عشرة أو العشرين من عمرهم .

عدد ١٥ : «**فأرسله الى حقوله يرعى الخنازير**» . أي أن هذا الشاب اليهودي اضطر بسبب الظـروف أن يعتني بحيوانات يعتبرها الناموس نجسة (راجـع لاويين

١١ : ٧) ، وهذا ما يشير الى انـه انحـدر الى أسفـل دركات البـؤس ، إذ قد ورد في التلمــود : «ملعــون الإنسان الذي يربّي الخنازير» .

عدد ١٦ : **«وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنـوب الذي كانت الخنازير تأكله: فلا يعـطيه أحـد»**. يرتـأي جارمياس أنه يقتضي إعادة المعنى الأصلي لهذا النص على الوجه الآتي : «كان بودّه أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله (لو لم يكن ينفر منه نفوراً شديداً)، ولم يكن أحد يعطيه طعاماً ». ولا بد ان يسوع ينوّه هنا بمثل شائع لدى سامعيه، وقد ورد هذا المثل في التلمـود على الشكل الآتي: «سيتوب إسرائيل عندما لن يجد سوى قرون الخرنوب ليأكلها».

عدد ١٩ : **«فاجعلني كبعض أجرائـك»** . بمـا ان الإبن الأصغر قد أخذ حصته من الميراث ، فلم يعد يحق له شرعاً أي شيء من والده ، حتى ولا الطعام والكساء ، لذا شاء أن يكسبها بعمله كأجير لدى الوالد .

عـدد ٢٠ : **«فقـام ومضى الى أبيه ، وكان لم يزل بعيداً إذ رآه أبوه، فأشفق عليه وأسرع اليه ، فألقى بنفسه على عنقه وقبّله طويلا»**.

إن النص اليوناني الأصلي يشير الى أنه «أسرع إليه راكضاً». ان سلوكاً كهذا كان ولا يزال يُعتبر، في العرف الشرقي، سلوكاً مستهجناً بالنسبة لرجل مسن لا يليق بكرامته ان يركض حتى ولو كان مستعجلا. لذا ففي العبارة إشارة واضحة الى لهفة الأب للقاء ولده. أمّا القبلة فهي علامة غفران كما يتضح من ٢ صموئيل ١٤ : ٣٣، حيث نرى داود يعبِّر بقبلة عن غفرانه لابنه أبشالوم الذي تمرّد عليه.

عدد ٢١ : «فقال له الإبن : يا أبت، اني خطئت الى السماء وإليك، ولست أهلا لأن أدعى لك ابناً..».

إن العدد ٢١ يردد ما ورد في العدد ١٨، أي ما صمّم الابن ان يقوله لأبيه، ما عدا العبارة الأخيرة «**فاجعلني كبعض أجرائك**»، وذلك لأن الأب لم يدع لولده مجال التلفظ بهذه الكلمات، بل تصرف بالضبط على نقيضها إذ عامل العائد الى المنزل لا كأنه واحد من الاجراء بل كضيف شرف حلّ عليه.

عدد ٢٢ ـ ٢٣ : «فقال الأب لعبيده : أسرعوا فهاتوا أفخر حلّة وألبسوه، واجعلوا في إصبعه خاتماً وفي

رجليه نعلين ، وأتوا بالعجل المسمّن وأذبحوه فنأكل ونتنعم» .

أمّا وجوه هذا التكريم فهي الآتية :

* انه يلبسه حلّة فاخرة ، وهذا ما كان له في الشرق القديم مدلول خاص ، اذ كان علامة تكريم رفيع . فلم تكن هناك أوسمة ، بل اذا شاء ملك ان يكرم بنوع خاص من استحق ذلك من أصحاب الرتب العليا في دولته ، كان يهديه حلّة فاخرة . لذا فإن ارتداء ثوب جديد يُتخذ في الكتاب المقدس رمزاً لزمن الخلاص .

* انه يضع خاتماً في يده : لقد اثبتت الحفريات الأثرية أن الخاتم الذي كان يقدم في مناسبات كهذه كان خاتماً يحمل ختماً ، مما يعني ان الذي كان يتسلمه كان يعطى تفويضاً مطلقاً إذ يتاح له أن يصدر أحكاماً ممهورة بختم الملك نفسه .

ولدينا في سفر التكوين نص يشير الى تلك المعاني المشار إليها التي كان يحملها الخاتم والحلّة الفاخرة : «وقال فرعون ليوسف : انظر قد أقمتك على جميع أرض مصر . ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بز وجعل طوقاً من ذهب في عنقه»

(تكوين ٤١ : ٤١و٤٢) .

*إنه يضع حذاء في رجليه : لقد كان الحذاء يعتبر في ذلك العهد من الكماليات ، وكان الأحرار فقط يلبسونه ، مما يعني أن الأب اعتبر أنه لا يليق بابنه أن يسير فيما بعد حافي القدمين شأن العبيد .

*إنه يأمر بذبح العجل المسمّن على شرفه : لقد كان أكل اللحم نادراً في تلك البيئة ، ولم يكن يذبح العجل المسمّن إلاّ في المناسبات الخاصة جداً . إنها علامة فرح وتعييد للبيت والخدم ورمز للاستقبال الاحتفالي الذي يقام للولد بمناسبة عودته الى المائدة العائلية .

إن علامات التكريم الآنفة الذكر انما هي التعبير الملموس عن الغفران وتشير الى أن الإبن الشاطر قد استعاد مقامه البنوي وانه ينبغي أن يعرف الكل ذلك .

عدد ٢٤ : «**لان ابني هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالا فوُجد**» . يستعمل الأب هنا صورتين مترادفتين وذات مدلول حسّي تشيران الى استعادة الابن لمقامه البنوي : صورة قيامة الموتى وصورة وجود الخروف الذي ضل .

عدد ٢٥ : «**وكان ابنه الأكبر في الحقل ، فلما رجع**

واقترب من الدار سمع غناء ورقصاً».

كانت تنشد في الولائم أغانٍ صاخبة يصحبها فقش بالاصابع، وكان الرجال يرقصون، فبلغت أصوات الطرب هذه مسامع الابن الأكبر.

عدد ٢٨ : **«فغضب وأبى ان يدخل، فخرج إليه أبوه يرجو منه ان يدخل»** .

إن العبارة اليونانية المستعملة parakéli تفيد أنه كان «يخاطبه بمودة» ، «يلاطفه بشتى العبارات» .

عدد ٢٩ - ٣٠ : **«فأجاب أباه : أنا أخدمك منذ سنين طوال، ولا أعصى لك أمراً، فما اعطيتني جدياً واحداً لأنعم به مع أصحابي. ولما رجع ابنك هذا بعد ما أكل مالك مع البغايا، ذبحت له العجل المسمّن!»** .

إن الابن البكر لا يكتفي بتعنيف والده بالتوبيخ، ولكنه يرفض ان يسمّى العائد «أخاه»، مسمّياً إياه بتحقير **«ابنك هذا»** (راجع مقاطع أخرى من العهد الجديد حيث تستعمل عبارة «هذا» أو «هؤلاء» من باب التحقير: **«ولا كهذا العشّار»** (لوقا ١٨ : ١١)، **«هؤلاء الذين أتوا آخراً»** (متى ٢٠ : ٢١).

عدد ٣١ ـ ٣٢ : «فقال له : يا بني ، انت معي دائماً ابداً ، وكل ما هو لي فهو لك ، ولكن قد وجب ان ننعم ونفرح ، لان أخاك هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالا فوُجد» .

على نقيضِ فظاظة كلام الابن ، فكلام الأب غاية في الحنان . يخاطب الابن الاكبر بقوله «**يا بنيّ**» وهذه العبارة ترجمة للعبارة اليونانية téknon التي تعني : يا ابني الحبيب . ولكن مع الحنان عتاب للابن القاسي القلب . يقول له الأب «**قد وجب ان ننعم ونفرح**» والمقصود ، كما يوضح جاراماياس ، لا «**قد وجب عليّ**» (وكأن الوالد يقدم عذراً عما فعل) ، بل «**كان يتوجّب عليك**» (وفي هذا الكلام ملامة) لأن هذا العائد الذي تتبرأ منه إنما هو «**أخوك**» .

يصوّر هذا المثل في بساطته الرائعة حنان الله . انه يقول : هكذا هو الله ، حنون ، متسامح ، رحيم ، يفيض حباً ، وكما أعدّ والد المثل وليمة ، هكذا يطفح الله فرحاً إذا عاد الضال الى الحظيرة .

ولكن هذا إنما هو معنى الجزء الأول من المثل فقط . فالمثل الذي نحن بصدده ذو مغزيين . لذا تتكرر فيه

الخلاصة نفسها («**كان ميتاً فعاش وكان ضالا فوُجد**») مرتين ، وكأنها لازمة تفصل المثل الى شطرين (١١ - ٢٤ ، ٢٥ - ٣٢) لكل منهما مغزاه الخاص .

لأول وهلة يبدو أن الجزء الأول مكتمل بحد ذاته ، وان الجزء الثاني لا فائدة منه . فلماذا أضافه يسوع إذاً ؟ الجواب الممكن الوحيد هو ان تلك الإضافة كان يستدعيها الوضع الراهن الذي قيل المثل فيه . هذا الوضع يشير إليه لوقا ١٥ : ١ و ٢ : «**وكان العشّارون والخاطئون يدنون منه جميعاً ليسمعوه . فقال الفرّيسيون والكتبة متذمرين : «هذا الرجل يستقبل الخاطئين ويؤاكلهم!**» : لقد روي المثل اذاً لأناس كانوا يشبهون الابن البكر ، أي لأناس كانت لهم بشارة الانجيل بدعوة الخطأة الى ملكوت الله معثرة . وقد أراد يسوع ان يحرِّك ضمائر أولئك ، ولذا قال لهم : هذا هو حب الله لأولاده الضالين ! امّا أنتم فلا يخالجكم أي فرح برجوع هؤلاء ولكنكم باردون ، عديمو الاحساس، ناكرو المعروف ومغرورون بأنفسكم . كونوا بالاحرى محبّين وليس أنانيين كما أنتم . إن الموتى روحياً يقومون والذين كانوا ضالين يعودون الى بيت الآب . فابتهجوا معي بهذا الحدث .

النبرة في هذا المثل انما هي إذاً على المغزى الثاني الذي يحمله . فمثل الإبن الشاطر ليس بالدرجة الأولى إعلان البشرى «للفقراء» (اي للذين يشعرون بفقرهم الى الله وحاجتهم الى خلاصه)، بلا تبريراً لتلك البشرى تجاه الذين كانوا ينتقدونها. يبرر يسوع مخالطته للخطأة بذلك الحب اللامحدود الذي يظهره الله لهؤلاء. ولكن يسوع لا يختم المثل بل يبقيه مفتوحاً . إن سامعيه هم في وضع الابن البكر. فهل يا ترى يستجيبون لدعوة الآب ويفرحون معه ؟ إن يسوع لا يحكم عليهم حكماً مبرماً ، اذ لا يزال يحمل في نفسه رجاء نحوهم . ولذا لا يذكر في المثل جواب الابن البكر بل يترك لهم مجال إعطاء هذا الجواب بأنفسهم . إنه يريد ان يساعدهم على تخطي الصدمة التي أصابتهم من جراء إعلان البشرى للخطأة، وعلى الادراك بأن نقص حبهم وامتلاءهم من برّهم يفصلانهم عن الله. يريدهم ان يشاركوا في فرح الله الكبير بعودة أبنائه الضالين: **«وجب ان ننعم ونفرح»**. وهكذا فالدفاع عن البشرى يتحوّل الى توبيخ موجّه الى أعدائها ويصبح نداء لكسب قلوبهم .

خلاصة القول أن هذا المثل هو في الدرجة الاولى مثل

دفاعي يبرر فيه يسوع ، تجاه خصومه ، مؤاكلته للخطأة . فإذا عرفنا ذلك ، استطعنا أن نستنتج منه أمراً بالغ الأهمية ، ذلك ان زبدة ما يقوله يسوع في هذا المثل لتبرير سلوكه المزعج لخصومه ، هو الآتي :

إن حب الله للخاطىء التائب لا حدود له ، لذا فموقفي من الخطأة يتناسب مع طبيعة الله ومشيئته . وبعبارة أخرى يطالب يسوع بحقه في ان يجسّد بسلوكه حب الله للخطأة التائبين . وهكذا يظهر المثل على انه تأكيد غير مباشر لبنوة يسوع الإلهية : ذلك ان يسوع يعطي لنفسه الحق بأن يتصرف بالنيابة عن الله ، بأن يكون ممثله والقائم مقامه ، وبأن يخالف ، استناداً الى ذلك ، آراء لاهوتيي وأتقياء شعبه الذين كان يركن إليهم في تفسير الشريعة الإلهية .

مثلا الخروف والدرهم الضائعين

(لوقا ١٥ : ٤- ١٠)

«من منكم إذا كان له مائة خروف فأضاع واحداً منها، لا يدع التسعة والتسعين في البرية، ويمضي ينشد الضال حتى يجده؟ فإذا وجده حمله على كتفيه فرحاً، ورجع به إلى البيت ودعا الأصدقاء والجيران وقال لهم: إفرحوا معي، فقد وجدت خروفي الضال! أقول لكم: هكذا يكون الفرح في السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر منه بتسعة وتسعين من الأبرار لا يحتاجون إلى التوبة.

بل أية إمرأة إذا كان لديها عشرة دراهم، فأضاعت درهماً واحداً، لا توقد سراجاً وتكنّس البيت وتجدّ في البحث عنه حتى تجده؟ فإذا وجدته دعت الصديقات والجارات وقالت: إفرحن معي، فقد وجدت درهمي

الذي اضعته! أقول لكم: هكذا يفرح ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب».

هذان المثلان قريبان جداً من مثل الإبن الشاطر. وقد انطلقا، مثله، من انتقاد «الأتقياء» ليسوع المعبَّر عنه في لوقا ١٥ : ١ و ٢ : «**وكان العشّارون والخاطئون يدنون منه جميعاً ليسمعوه. فقال الفرّيسيون والكتبة متذمرين: هذا الرجل يستقبل الخاطئين ويؤاكلهم**». إن وراء هذا التذمر اتهاماً واضحاً ليسوع بأنه ليس بتقي طالما أنه يقبل بأن يؤ اكل أناساً لا يخالطهم «الأتقياء»، ودعوة لمناصريه بأن ينفصلوا عنه.

يرد يسوع على خصومه بمثل بني ازدواجه على التضاد، وهو أسلوب يلفت النظر ويرسّخ التعليم في الاذهان. والتضاد قائم هنا بين رجل وامرأة، غني وفقير. صحيح أن صاحب القطيع المشار إليه بالمثل ليس بالإنسان المتموّل. فحجم القطيع عند البدو يتراوح بين ٢٠ و٢٠٠ رأس من الخراف أو الماعز، لذا فالعدد مئة خروف المذكور في المثل يحسب رقماً متوسطاً. وبالإضافة إلى ذلك يبدو أن صاحب هذا القطيع لم يكن بوسعه أن يستأجر راعياً، لذا اضطر لأن يرعى قطيعه بنفسه. إلاّ أنه يُعتبر ميسوراً إذا قيس بتلك المرأة التي لم تكن تملك من المال سوى عشرة دراهم.

عدد ٤ : «من منكم إذا كان له مئة خروف فأضاع واحداً منها لا يدع التسعة والتسعين في البرية ويمضي ينشد الضال حتى يجده؟».

«فأضاع واحداً منها» : من عادة الراعي الفلسطيني أن يعدّ قطيعه عندما يدفعه في المساء إلى الزريبة، وذلك للتحقق من أن أحد أفراده لم يفقد. فالرقم ٩٩ المذكور أعلاه يشير إلى أن عملية العدّ قد أنجزت.

«لا يدع التسعة والتسعين في البرية» : ليس المقصود بهذه العبارات أن الراعي يترك قطيعه بدون رعاية سعياً وراء المفقود. فهذا غير وارد بالنسبة لعادات الرعاة في فلسطين. فإذا اضطر أحدهم أن يذهب للتفتيش عن أحد الخراف فانه أمّا يعهد بقطيعه إلى الرعاة الذين يستخدمون وإياه الزريبة نفسها، أمّا يدفعه إلى مغارة. ولنا مثل على ذلك في سلوك الراعي الشاب محمد الديب الذي أكتشف سنة ١٩٤٧ المغارة الأولى من مغاور قمران التي عُثر فيها على «مخطوطات البحر الميت» الشهيرة. فقد حدث أن عدّ الراعي المذكور قطيعه الساعة ١١ صباحاً، على غير عادة، لأنه كان قد فوّت سهواً العدّ المسائي مرتين متتاليتين، فاكتشف أن إحدى عنزاته قد فقدت. عند ذاك سأل الراعيين اللذين اعتاد مرافقتهما أن يسهرا على

قطيعه (المؤلف من ٥٥ رأساً) قبل أن ينطلق للتفتيش عنها.

«**يمضي ينشد الضال**» : إن الراعي لا يفتش عن الضال هذا التفتيش الحثيث لأنه أكبر الخراف. بل بالعكس، يشير ما ورد في العدد ٥، «**حمله على كتفيه**»، إلى أنه حيوان ضعيف. وهذا ما يؤكده أيضاً تطبيق هذا المثل في إنجيل متى على «**واحد من هؤلاء الصغار**» (متى ١٨ : ١٤، والترجمة الصحيحة : «**واحد من أصغر الصغار**»). ليست إذاً قيمة الخروف بحد ذاته هي ما يدفع الراعي إلى التفتيش عنه دون كلل، بل كون الخروف له وكونه لا يستطيع بدونه أن يلتحق بالقطيع.

عدد ٥ : «**فإذا وجده حمله على كتفيه فرحاً**». ذلك أنه إذا ابتعد خروف عن القطيع ليشرد هنا وهناك، فمن عادته، إذا خارت قواه، أن يستلقي على الأرض بحيث يستحيل إنهاضه ودفعه إلى السير. فلا يبقى للراعي سوى أن يحمله على كتفيه، حول عنقه.

عدد ٦ : «**ورجع به إلى البيت ودعا الأصدقاء والجيران وقال لهم : إفرحوا معي، فقد وجدت خروفي الضال!**». قد تشير هذه العبارات إلى تنظيم احتفال للابتهاج بوجود الخروف الضال.

عدد ٧: «أقول لكم: هكذا يكون الفرح في السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر منه بتسعة وتسعين من الأبرار لا يحتاجون إلى التوبة». «الفرح في السماء» هو، هنا، إشارة، بالتورية، إلى فرح الله، وذلك لأن الاستعمال الشائع عند اليهود، والذي يتبناه يسوع هنا، كان، في ذلك العهد، تحاشي ذكر المشاعر الإلهية تنزيهاً وإجلالاً. أمّا صيغة المستقبل، «يكون الفرح»، فينبغي أخذها بمعنى أخروي، فيكون المقصود: هكذا يكون فرح الله في يوم الدينونة.

عدد ٨ ـ ٩: «بل أية إمرأة إذا كان لديها عشرة دراهم، فأضاعت درهماً واحداً، لا توقد سراجاً وتكنّس البيت وتجدّ في البحث عنه حتى تجده؟ فإذا وجدته دعت الصديقات والجارات وقالت: إفرحن معي، فقد وجدت درهمي الذي أضعته!». هذه الدراهم تشير إلى عادة كانت ولا تزال من عادات النساء في فلسطين، ألا وهي أن يزينّ أعلى وجوههن بقطع نقدية تمثل ما يملكنه من مال، فلا ينفصلن عنها حتى في فترة النوم. وكانت الغنيات منهن ولا زلن يزينّ رؤوسهن بمئات القطع النقدية الذهبية والفضية. أمّا إمرأة المثل فكانت فقيرة جداً وزينتها في غاية التواضع إذ أنها كانت تقتصر على عشرة دراهم.

«توقد سراجاً». لا لأن الليل قد حلّ، إذ لا شيء يمنع في هذه الحال أن تنتظر الصباح لتباشر تفتيشها، بل لأن كوخها، كأكواخ فقراء فلسطين في تلك الأيام، كان بدون نافذة ولم يكن له سوى باب منخفض جداً لا يتسرب منه إلاّ قليل من النور.

«تكنّس البيت». تكنّسه بمكنسة من ورق النخل كي يتسنى لها أن تسمع في العتمة رنين القطعة النقدية على الأرض الصخرية.

عدد ١٠ : «أقول لكم: هكذا يفرح ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب».

فرح ملائكة الله يشير، بالتورية (للأسباب التي ذكرناها أعلاه)، إلى فرح الله نفسه.

* * *

إن وجه المقارنة الذي بُني عليه المثلان كامن، إذاً، في **الفرح.** فكما يبتهج الراعي بإعادته الخروف الضال إلى الحظيرة («حمله على كتفيه فرحاً... **إفرحوا**

معي. . . »)، وكما تبتهج المرأة الفقيرة باستعادة درهمها الضائع («إفرحن معي. . . »)، هكذا سيكون فرح الله، في يوم الدينونة، عظيماً بنوع خاص، إذا استطاع أن يعلن، بالإضافة إلى خلاص الأبرار، عودة أحد **«الصغار»**، رجوع خاطىء تائب.

يعلن يسوع أن هكذا هو الله: يريد أن يخلص الضالين لأنهم من ذويه ولأنه أن لم يسع بنفسه إليهم لن يستطيعوا إنقاذ أنفسهم. إن تشرّدهم يسبب له الغم الشديد، ولذا ففرحه عظيم بعودتهم إلى الحظيرة.

الله يفرح بإعطاء الخلاص، بمنح الغفران: هذا ما يؤكده يسوع، وبذلك يدافع عن بشارته هو. وكأنه يقول: إن رحمة الله فائقة إلى حدّ أن فرح الغفران هو أعظم فرح لديه، لذا فدوري، كمخلِّص، أن افتش عن الذين ضلّوا وأعيدهم. هنا أيضاً يظهر يسوع على أنه ممثل الله، يترجم في سلوكه البشري مواقف الله عينه.

مثل عمال الكرم

(متى ٢٠ : ١-١٥)

لقد ورد هذا المثل أيضاً من باب الدفاع عن البشرى تجاه خصومها. إن رب الكرم هو، في الحقيقة، الشخصية الرئيسية في المثل، ولذا فالأصح أن يطلق عليه عنوان «**مثل رب العمل الكريم**» وليس «**مثل عمّال الكرم**» كما جرت العادة أن يسمّى.

عدد ١ : «**فمثل ملكوت السماوات كمثل رب بيت خرج والفجر ليستأجر عملة لكرمه**».

هذه هي الترجمة الصحيحة لهذا العدد وليس الترجمة التي ألفناها وهي «يشبه ملكوت السماوات رب بيت الخ . . .». فوجه الشبه ليس بين ملكوت السماوات ورب الكرم او العمال أو الكرم، إنما هو بينه وبين الحساب الذي يجريه رب الكرم لعمّاله. وكثيراً ما يتردد تشبيه ملكوت الله بحساب (راجع، مثلاً، متى ٢٥ : ١٤، لوقا ١٦ : ٢، متى ٢٤ : ٤٥، لوقا ١٢ : ٤٢، متى ١٨ : ٢٣).

عـدد ٢ : **«فاتفـق مع العملـة على دينـار في اليوم وأرسلهم إلى كرمه».**

كان الدينار الإجرة اليومية التي كانت تدفع، عادة، في ذلك الزمان، للعمال المياومين.

عدد ٣ : **«ثم خرج نحو الساعة الثالثة، فرأى عملـة آخرين قياماً في الساحة بطالين».**

«نحو الساعـة الثالثـة» : أي بـين الثامنـة والتاسعـة صباحاً وفق توقيتنـا الحـالي. فمـع أن اليوم كان يبـدأ، شرعاً، عند اليهود، منذ غروب اليوم السابق (مثلاً، كان يبدأ تقديس السبت منذ الجمعة مساء)، إلاّ أنهم كانـوا يحسبون الساعات ابتـداء من موعـد شروق الشـمس، وهذا ما يسهل فهمه إذا علمنا أنه لم تكن توجد ساعات في ذلك العهد.

«قياماً في الساحة بطالـين» : إن عبـارة «قيامـاً»، كما وردت في **النصّ اليونانـي الاصلي** estotas لا تفيد هنـا معنـى الانتصـاب بل معنـى الإقامـة. **لقـد كان هؤلاء جالسين في الساحة دون عمل يتبادلون الحديث.**

عدد ٤ : «فقال لهم : «اذهبوا أنتم أيضاً إلى كرمي، وسأعطيكم ما يحق لكم».

المفروض أن يفهم هؤلاء أن أجرتهم ستكون جزءاً من دينار لأنهم لم يباشروا العمل في أول النهار .

أعداد ٥ ـ ٦ ـ ٧ : «فذهبوا. وخرج أيضاً نحو التاسعة، ففعل مثل ذلك. وخرج نحو الحادية عشرة، فلقي أناساً آخرين قائمين هناك، فقال لهم : «ما لكم قائمين ههنا طوال النهار بطالين؟» قالوا له : «لم يستأجرنا أحد». قال لهم : «اذهبوا أنتم أيضاً إلى كرمي».

إن خروج صاحب الكرم المتكرر، ظهراً («الساعة السادسة») ثم حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر («الساعة التاسعة»)، ثم ساعة قبل غياب الشمس («الساعة الحادية عشرة») أي بين الساعة الرابعة والخامسة مساء، ليأتي بعمال جدد، يشير إلى مدى استعجاله لإنهاء العمل. هذه العجلة يمكن أن نفهمها إذا عرفنا أنه كان ينبغي أن يتم القطاف قبل أن يأتي فصل الامطار مع لياليه الباردة. وهذا ما كان يقتضي، أحياناً، إذا كان الموسم

جيّداً، سباقاً مع الزمن.

أمّا سؤال رب الكرم: **«ما لكم قائمين ههنا طوال النهار بطالين؟»** فهو ينم لا عن الدهشة بل عن اللوم.

أعداد ٨ ـ ٩ ـ ١٠ : «ولما جاء المساء قال صاحب الكرم لوكيله : «ادع العملة وادفع لهم الأجرة، مبتدئاً بالآخرين سائراً إلى الأولين» . فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذ كل منهم ديناراً ثم جاء الأولون، فظنوا أنهم سيأخذون زيادة، فأخذوا هم أيضاً ديناراً لكل منهم» .

كان من البديهي أن تدفع الإجرة في المساء (راجع لاويين ١٩ : ١٣ وتثنية الاشتراع ٢٤ : ١٤ وما يليه) . أمّا أن يعطي رب الكرم أمراً خاصاً بهذا الشأن، فهذا عائد إلى أن لديه قصداً خارجاً عن المألوف ألا وهو أن يدفع إجرة يوم كامل للجميع دون استثناء.

عددان ١١ـ ١٢ : «وكانوا يأخذونه ويقولون متذمرين على رب البيت : «هؤلاء الذين أتوا آخراً لم

يعملوا غير ساعة واحدة، فساويتهم بنا نحن الذين احتملنا عبء النهار وحرّه».

يدّعي عمال الساعة الأولى أنه قد لحق بهم إجحاف مزدوج: فمن جهة، عملوا اثنتي عشرة ساعة بينما لم يعمل الآخِرون سوى ساعة واحدة، ومن جهَة أخرى، فقد اضطروا أن يعملوا في لفح الريح الجنوبية الشرقية الحارة التي تهب في فلسطين في موسم القطاف، بينما الآخِرون استفادوا من برودة جو المساء. لذا فإنهم يزعمون أن طول مدة العمل («عبء النهار») ومشقته («حرّه») يعطيانهم الحق بأن يتقاضوا أجراً يفوق بكثير ذلك الذي تلقاه الآخرون.

أعداد ١٣ـ ١٤ـ ١٥ : **«فأجاب واحداً منهم: «يا صديقي، ما ظلمتك، ألم أتفق معك على دينار؟ خذ مالك وانصرف. فهذا الذي أتى آخراً أريد أن أعطيه مثلك: أفما يحق لي أن أتصرف في أموري كما أشاء؟ أم أنت تنظر إليّ نظرة سوء لاني كريم؟»**

«أجاب واحداً منهم»: لا بد أنه يتوجّه هنا إلى أكثرهم احتجاجاً. **«يا صديقي»**: إن العمال المحتجّين

أغفلوا، في ثورة غضبهم، تسمية صاحب الكرم باسمه ولقبه. أمّا هو فيكرمهم إذ يستهل جوابه بعبارة **«يا صديقي»** التي تستعمل عندما يخاطب المرء إنساناً يجهل اسمه. هذه الصيغة (التي توازي التعبير المألوف لدينا **«يا صاحبي»**) تعبّر بآن واحد عن الرفق والعتاب. وفي المواضع الثلاثة من العهد الجديد، التي وردت فيها، يبدو أن من وُجهت إليه كان مذنباً بشيء: متى ٢٠ : ١٣ (وهي الآية التي نحن بصددها)؛ متى ٢٢ : ١٢ (**«يا صديقي، كيف دخلت إلى هنا، وليس عليك بزة العرس؟»**)، متى ٢٦ : ٥٠ (**«فقال له يسوع: «يا صديقي، هلمّ إلى ما أنت عازم عليه»**).

«خذ مالك وانصرف»: أي أنه لم يعد لك ما تطلبه هنا.

إن فرادة تعليم يسوع في هذا المثل تظهر بشكل ساطع إذا قارنّا بين هذا الأخير وبين القصة الموازية له في تلمود أورشليم. يروي هذا التلمود أن أحد كبار معلّمي الناموس، رابي بن بار حجّا، توفي وهو لا يزال شاباً حوالي ٣٢٥ ب. م. فاجتمع أساتذته القدامى ـ الذين كان المتوفى قد أصبح زميلاً لهم ـ ليكرموا ذكراه، وألقى أحدهم تأبيناً له قدمه بشكل مثل. قال أن مثل هذا المعلم

كمثل ملك استأجر عدداً من العمال كبيراً، وبعد ساعتين من بدء العمل أتى يتفقد عماله فوجد أحدهم يتميّز باجتهاده ومهارته. فأخذه بيده وتنزه معه حتى المساء. وعندما أتى العمال ليأخذوا أجرتهم، نال هذا العامل ما ناله الآخرون. فتذمر هؤلاء وقالوا: «لقد عملنا اليوم كله، وأنت تعطي كامل الأجرة لهذا الرجل الذي لم يعمل سوى ساعتين». ولكن الملك أجاب: «لم يصدر عني أي ظلم، فإن هذا العامل قد عمل، في فترة ساعتين، أكثر مما عملتم أنتم طوال النهار».

وخلص المؤبّن قائلاً: هكذا، فإن رابي بن بار حجّا عمل في فترة ثماني وعشرين سنة من حياته أكثر مما فعل عدة معلّمي الناموس مدة مائة سنة، لذلك أخذه الله بعد هذا الزمن القصير بيده وأعاده إليه.

أن سير القصة هو نفسه تقريباً في الروايتين (مع بساطة أكبر في مثل يسوع: ففي القصة التلمودية نجد ملكاً، بينما في المثل مجرد رب عمل؛ كذلك فإن نزهة الملك مع أحد عماله، التي طالت عشر ساعات، تبدو مصطنعة، بينما لا نجد مثل ذلك في المثل الإنجيلي). إلاّ أنهما تختلفان عميقاً في مغزاهما. ففي الرواية الربّانية، أنتج العامل

النشيط، في فترة عمله القصيرة جداً، أكثر ممّا انتج كل من زملائه طيلة النهار ، ولذا فقد استحق تماماً أجرته. أمّا في رواية يسوع، فالذين أتوا متأخرين ليس لهم أي حق في تقاضي أجرة كاملة. فإذا نالوها يعود الفضل إلى رفق رب العمل ليس إلاّ. إن هذا الفارق الذي قد لا يبدو ذا أهمية، لأول وهلة، يشير إلى اختلاف جذري بين عالمين روحيين: العالم اليهودي وعالم المسيح، فهناك **الاستحقاق** وهنا **النعمة**، هناك الناموس وهنا الإنجيل (أي بشرى عطاء الله المجاني).

إن هذا المثل مستمد من الحياة اليومية في زمن كان يخيّم عليه شبح البطالة. فالمؤ رخ يوسيفوس (الذي عاش من حوالي السنة ٣٨ إلى حوالي السنة ١٠٠ ب . م .) يروي مثلاً أنه، بعد الانتهاء من بناء هيكل أورشليم، اقتضى إقامة أعمال مستعجلة لتشغيل ١٨,٠٠٠ عاطل عن العمل. لقد قيل المثل، في الأصل، لأناس كانوا يشبهون العمال المتذمرين، وهو ينتهي بهذا السؤال المفعم لوماً: «**أم أنت تنظر إليّ نظرة سوء لأني كريم؟**» (عدد ١٥). بيت القصيد إنما هو هذا الكرَم. والكرَم هذا لا يلغي العدالة ولكنه يتخطاها. لذا فنحن.

نبتعد عن روح الإنجيل إذا تذرعنا بـ «المحبة» لنتجاهل متطلبات العدل. فلا محبة بدون عدل، ولكن المحبة تتجاوز العدل بالسخاء. إن رب الكرم لم يبخس عمال الساعة الأولى حقهم، إنما أعطاهم ما كان متفقاً عليه غير منقوص، وهو التعرفة المصطلح عليها في ذلك الزمن: «**يا صديقي، ما ظلمتك، ألم أتفق معك على دينار؟**» (عدد ١٣). ولكنه شاء، بدافع من كرمه، أن يعطي الباقين أكثر مما يستحقون. والله، يقول الرب يسوع، يشبه هذا الملاّك الذي أشفق على العاطلين عن العمل وعلى عائلاتهم. وهو يعبّر الآن عن رأفته بمنحه العشّارين والخطأة نصيباً في خلاصه، دون أن يكون لهم أي فضل في ذلك. وهكذا سوف يتصرف في يوم الدينونة (فالمثل الذي نحن بصدده والذي يتحدث عن حساب، هو مثل أُخروي). هذا هو الله، يقول الرب يسوع، وهذا هو رفقه، ولذا فإنني أترفق أنا أيضاً لأنني أمثّله. فهل تريدون أن تحتجوا على رفق الله؟

مثل الفرّيسي والعشّار

(لوقا ١٨ : ٩ ـ ١٤)

العدد ٩ : «وضرب أيضاً هذا المثل لقوم كانوا مستيقنين أنهم أبرار ، ويزدرون سائر الناس» .

الترجمة الصحيحة لهذا العدد ، حسب رأي جارامياس ، هي :

«وضرب أيضاً هذا المثل لقوم كانوا يضعون ثقتهم بأنفسهم لأنهم أبرار ، ويزدرون سائر الناس» . ينبغي مقارنة هذه ألآية بما ورد في ٢ كورنثوس ١ : ٩ **«لئلا نتّكل على أنفسنا ، بل على الله الذي يقيم الأموات»** .عند ذاك يتضح أن خطأ الفرّيسيين كان في الاتكال على تقواهم الخاصة ، عوض أن يضعوا ثقتهم بالله .

إن كلمة perisha «المفروز» التي اشتق منها اسم الفرّيسيين مرادفة لـqaddisha التي تعني «القديس». فقد كان الفرّيسيون يدعون انهم يمثلون الجماعة المقدسة، شعب الله الحقيقي، المنفصلة عن الجمهور الذي كانوا يعتبرونه جاهلا للناموس وبالتالي واقعاً تحت اللعنة الالهية (راجع يوحنا ٧ : ٤٩). وقد كانوا ينتظرون ماسيا «طاهراً من كل خطيئة» يلاشي الأشرار بكلمته المقتدرة.

العدد ١٠ : **«صعد رجلان الى الهيكل ليصليا، أحدهما فرّيسي والآخر عشّار».**

لقد صعد الرجلان الى الهيكل في وقت الصلاة. وهذه كانت تقام في الساعة التاسعة صباحاً وفي الساعة الثالثة بعد الظهر.

العدد ١١ : **«فانتصب الفرّيسي قائماً يصلّي فيقول في نفسه : «اللهم، شكراً لك لأني لست كسائر الناس الجشعين الظالمين الفاسقين، ولا كهذا العشّار!»».**

في هذا العدد نرى الفرّيسي يعدد الذنوب التي حفظ نفسه منها، ويستعلي على العشّار مشيراً إليه

بعبارة «**كهذا العشار**» التي لها مدلول الاحتقار نفسه الذي وجدناه في مثَل الابن الشاطر وذلك في تسمية الابن البكر لأخيه «**ابنك هذا**» .

العدد ١٢ : «**فأنا أصوم في الاسبوع مرتين ، وأؤدي عشر دخلي كله**» .

هنا يذكر الفرّيسي مبراته ويلخصها بعملين نافلين :

١ ـ فبينما كان الناموس لا يفرض الا صوماً واحداً في السنة بمناسبة يوم التكفير ، يصوم الفرّيسي يومين كل اسبوع ، ألا وهما الاثنين والخميس ، وذلك على الارجح للتكفير عن خطايا شعبه . لقد كان هذا الصوم قاسياً اذ كان عبارة عن امتناع عن كل طعام وشراب طيلة اليوم ، وكلنا يعرف كم ان الامتناع عن الشرّاب أيام الحر ، في منطقتنا ، أمر شاق .

٢ ـ ثم إنه كان يؤدي العشر عن كل دخله ، وهذا يعني امّا أنه كان يدفعه حتى على ما لا يُفرض العشر عليه ، أي على الأعشاب البقلية كالنعنع والشبث والكمون (راجع متى ٢٣ : ٢٣) ، أو أنه ، حسب رأي جاراماياس ، كان يدفع العشر على كل ما يشتريه ، حتى على الحبوب والخمر والزيت التي كان مفروضاً على

منتجها أن يدفع العشر عنها ، وذلك خوفاً من أن يكون هذا النتاج لم يدفع عنه العشر وأن يتمتع بالتالي بما لم يدفع العشر عنه .

العدد ١٣ : **«على أن العشار وقف بعيداً لا يجرؤ أن يرفع عينيه نحو السماء ، بل كان يقرع صدره ويقول : «اللهم إرحمني أنا الخاطىء !»** .

من هم العشارون ؟ في فلسطين ، في ذلك العهد ، كانت الضرائب ، وهي الضرائب العقارية وضريبة الرؤوس أو الأعناق ، تجبى من قبل موظفين في الدولة . أمّا الرسوم الجمركية لكل مقاطعة فكانت تلزَّم لأناس يدعون العشارين كانوا يستغلّونها لأنفسهم دون التقيّد بتعرفة الدولة . لقد كان الرأي العام يعتبر هؤلاء لصوصاً ، فكانوا محرومين من الحقوق المدنية وكان «الأوادم» يتجنبونهم .

بعكس الفرّيسي وقف العشار بعيداً ، ولم يكن يجرؤ أن يرفع عينيه نحو السماء . أمّا قرع الصدر ، أو بالاحرى القلب (الذي كان يعتبر مركز الخطيئة) ، فقد كان تعبيراً عن ندامة عميقة .

العدد ١٤ : **«أقول لكم : إن هذا نزل الى بيته مبروراً**

وأمّا ذاك فلا. فمن رفع نفسه وُضع، ومن وضع نفسه رُفع».

عبارة « مبروراً» تعني أنه كان مقبولا وأنه وجد نعمة . أمّا صيغة المجهول المستعملة هنا ، فهي تورية شائعة الى الله «إذ كانوا يتحاشون ، إجلالا ، أن يشيروا إليه بصورة مباشرة . فيكون مدلول العبارة أن العشار وجد نعمة عند الله وقُبل منه، أمّا الفريسي فلا.

أمّا الآية« فمن رفع نفسه وُضع ، ومن وضع نفسه رُفع» ، فالمجهول فيها انما هو أيضا إشارة الى الله من باب التورية . فيكون المعنى : « من رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضع نفسه رفعه الله» . ثم ان فعل الله هذا وارد ، في الأصل ، بصيغة المستقبل ، مما يشير الى يوم الدينونة .

لا بد من ان هذا المثل فاجأ سامعيه الأولين وبدا لهم غير مفهوم . ذلك ان صلاة الفرّيسي تبدو لأول وهلة ممتازة . فإنه يشكر الله لأنه يعرف ان الفضل يعود اليه تعالى إذا كان هو مختلفاً عن الآخرين وأفضل منهم سلوكاً . ثم ان صلاته لا تحوي أي طلب ، إنما هي شكر

كلها ، وهذا أجمل ما يتمناه المرء لصلاته . أمّا صلاة العشار فتعبر عن اليأس . فإنه ، عوض ان يرفع عينيه نحو السماء ، وكم بالاحرى إذاً يديه(وهذا مضمر في النص) - كما كانت العادة عند ذلك في الصلاة - يحني رأسه ويقرع صدره . وقد كان هذا العمل الأخير نادر الاستعمال جداً في الصلاة ، فيما كان شائعاً جداً عند النساء اذا أنشدن مناحة . فالعشّار يشعر إذاً أن وضعه يائس . ذلك أنه ، اذا شاء أن يتوب ، وجب عليه ليس ان يترك مهنته وحسب بل وأن يعوّض أيضاً عمّا ألحق بالناس من غبن ، أي أن يعيد المبالغ المختلسة مضافاً إليها خمسها حسب الشريعة . ولكن أنّى له أن يعرف كل الناس الذين سرقهم؟ إن وضعه وصلاته يبدوان يائسين.

واذا بخلاصة المثل تصدم السامعين : « **الحق أقول لكم : ان هذا نزل الى بيته مبروراً وذاك لا** » . لقد غفر الله للعشّار ولم يغفر للفرّيسي ، فيما لم يكن أحد من السامعين ينتظر هذه النتيجة . صحيح أن هذه يفسرها القسم الثاني من العدد ١٤ : « **فمن رفع نفسه وُضع ، ومن وضع نفسه رُفع** » ، ولكن جاراميّاس يشير الى أن لا شيء في الدراسة النصّية يؤكد أن هذه الجملة

وردت ، في الأصل ، في نهاية المثل ولم تضف اليه في ما بعد(فإن فيها من التعميم ما يجعل محتملا أن تكون قد قيلت في مناسبة أخرى ثم أضافها الانجيلي الى المثل لايضاح معناه) . ولكن ، وبغض النظر عن هذه الآية ، فإن تفسير يسوع لحكم الله ، الذي يبدو لأول وهلة ظالماً ، يتجلّى ، بشكل غير مباشر ، من سياق المثل :

* فالفريسي ، وان كان ، في الظاهر ، ينسب الى الله فضل سلوكه الحسن ، إلاّ انه بالفعل ممتلىء من نفسه وهذا ما يشير اليه بوضوح موقفه من العشار . فإن مقياس اتجاهنا الفعلي ، لا الكلامي ، الى الله هو اتجاهنا الى الانسان الآخر: هذا تأكيد محوري في تعليم يسوع . فلو كان الفريسي متخطياً ذاته بانفتاح الى الله حقيقي ، لما كان احتقر ، على الصورة التي نراها ، ابناً لله آخر ، وهو العشار ، أياً كان سلوك هذا الاخير . لا بل لما كان استعلى على « سائر الناس» ، وكأنه من جبلة أخرى .

*أمّا العشار فإنه ، في صرخة يأسه ، يستشهد بالكلمات الأولى من المزمور الخمسين : « إرحمني يا الله» ، مضيفاً اليها فقط عبارة« أنا الخاطىء» ، فيكون المعنى : إرحمني يا الله ، مع أنني خاطىء . ولكن المزمور

نفسه يضيف: « فالذبيحة لله روح منسحق ، القلب المتخشع المتواضع لا يرذله الله» (مزمور ٥٠ : ١٩) .

فكأن يسوع يقول: ان الله هو كما وُصف في المزمور المذكور أعلاه . انه يقول« نعم» للخاطىء اليائس من ذاته و« لا» لذاك الذي لا يعتمد إلاّ على « برّه» الخاص . إنه إله اليائسين ، ورحمته لا حدّ لها للمنكسري القلوب . هكذا هو الله ، والآن فهو يتصرف بنفس الاسلوب من خلالي ، أنا الذي أمثّله.

الأمثال التي تدعو الى الثقة بخلاص الله

مقدمة

رأينا أن قوماً كانوا يأخذون على يسوع معاشرته« خطأة» ومؤاكلته إياهم . وقد ردّ الرب عليهم بأمثال بيّن فيها أن سلوكه هذا ، وإن أزعج « الاتقياء» ، انما هو صورة طبق الأصل عن تحنّن الله على أبنائه الضالين وفرحه بخلاصهم .

ولكن قوماً آخرين كانوا يشكّون برسالة يسوع عندما ينظرون الى الجماعة الملتفّة حوله ، فلا يرونها مؤلفة من الوجهاء أو العلماء ، انما هي « قطيع صغير» من أناس مغمورين ، ريفيين من الجليل المحتقر ، يحيط بهم عدد من سيّئي السمعة الذين كان « الأوادم» يأنفون من

مخالطتهم . لذا كان يصعب على أولئك القوم أن يروا في هذه المظاهر الهزيلة صورة الملكوت الذي أعلن يسوع قدومه الى العالم . لا بل أن أتباع يسوع أنفسهم كانوا يشكّون في قدرتهم على احتمال المشقّات والآلام التي أنبأهم المعلّم عنها . فإلى هؤلاء أو أولئك يتوجّه يسوع في الأمثال التي نحن ، الآن ، بصددها ، داعياً فيها الى الثقة بالله القادر على إخراج العظائم من بدايات حقيرة والمستجيب لنداء مختاريه .

مثلا حبّة الخردل والخميرة

مثل حبّة الخردل (مر ٤ : ٣٠ - ٣٢،
متى ١٣ : ٣١ - ٣٢).

مثل الخميرة (متى ١٣ : ٣٣،
لو١٣ : ٢٠ - ٢١).

هذان المثلان متقاربان في مضمونهما الى حد أنه لا بد من دراستهما معاً، مع أنهما قد يكونـان رويا في ظروف مختلفة.

ان التشبيه قائم فيهما ليس بـين ملـكوت اللـه ، من جهة ، وحبّة الخردل أو الخميرة ، من جهة أخرى ، انما بين ملكوت الله وبين المرحلة الأخيرة من نمو حبة الخردل ومن تطور العجين . أي ان الملكوت يشبّه بالحبّة عندما تصبح شجـرة تأوي إليهـا الـطيور ، وبالعجـين عندمـا يختمر . وذلك لأن :

* الشجرة التي تستظل الطيور في أغصانها انما هي صورة شائعة عن مملكة قوية تؤمّن الحماية لرعاياها ، كما يتضح من النصين الكتابيين التاليين :

« هو ذا أشور أرزة بلبنان بهيجة الافنان غبياء الظل شامخة القوام وقد كانت ناصيتها بارزة بين أغصان ملتفّة . . في أغصانها عششّت جميع طيور السماء وتحت فروعها ولدت جميع وحوش الصحراء وفي ظلها سكنت جميع الأمم الكثيرة» (حزقيال ٣١ : ٣ و ٦) .

« ان الشجرة التي رأيتها التي نمت وقويت وبلغ ارتفاعها الى السماء ومنظرها الى الأرض كلها وأوراقها بهية وثمرها كثير وفيها غذاء للجميع وتحتها تسكن وحوش الصحراء والى أغصانها تأوي طيور السماء هي أنت أيها الملك (نبوخذ نصر ، ملك بابل) اذ قد نميت وقويت وزادت عظمتك وبلغت الى السماء وسلطانك الى أقصى الأرض » (دانيال ٤ : ١٧ ـ ١٩) .

وقد بينّ أحد شرّاح الكتاب ، مانسون ، بالاستناد الى أمثلة من الادب الديني اليهودي ، ان صورة الطيور التي تقبل الى الشجرة تشير الى إقبال جماهير الوثنيين للانضمام

الى شعب الله . ويشير جاراماياس الى ان العبارة التي يستعملها الإنجيليون (وقد ترجمت في النصوص التي أثبتناها بكلمة «تستظل»)، Kataskénoun أي «صنع عشاً له»، انما هي من مصطلحات الادب الأخروي التي تشير الى اندماج الوثنيين في شعب الله عندما يأتي الملكوت.

* أمّا العجين فهو رمز لشعب الله ، كما يتضح من رومية ١١ : ١٦: « **واذا كانت الباكورة مقدسة ، فالعجين كله مقدس**» .

موضوع المثلين هو التضاد البارز الذي بنيا عليه كلاهما : فهذه ، مثلا ، حبّة الخردل التي هي بحجم رأس الدبوس وأصغر الأشياء المرئية بالعين المجردة ، انها « **أصغر سائر الحبوب التي في الأرض**» (مرقس ٤ : ٣١) . ولكنها اذا نبتت « **ارتفعت وصارت أكبر البقول كلها وأرسلت أغصاناً كبيرة ، حتى ان طير السماء تستطيع ان تستظل في ظلها**» (مرقس ٤ : ٣٢) . فكما أن كل كلمة في العبارة السابقة تشير الى صغر الحبّة، هنا كل كلمة تصف كبر حجم الشجيرة التي تبلغ، بالفعل، على ضفاف بحيرة طبريا، علو مترين ونصف الى ثلاثة أمتار . هذه حفنة من الخميرة ، صغيرة جداً ، تأخذها

امراة وتخفيها في كمية من العجين كبيرة جداً (ثلاثة مكاييل دقيق) وتغطي الكل بقماشة طيلة الليل ، واذا بها تجد في الصباح أن العجين كله قد اختمر .

وقد أكد متى ولوقا على الطابع الأخروي الذي لهذين المثلين ، بمبالغتهما ببعض المعطيات . فقد جعلا من شجيرة الخردل ليس فقط « أكبر البقول» كما يقول مرقس ، بل « شجرة» dendron (متى ١٣ : ٣٢ ولوقا ١٣ : ١٩) . أمّا الدقيق الذي وضعت فيه الخميرة ، فقد قدرا كميته بثلاثة مكاييل أو أصواع (وهو رقم مستوحى ، على الأرجح ، من تكوين ١٨ : ٦ ، حيث تروى ضيافة ابراهيم للملائكة الثلاثة الذين زاروه : « **فأسرع ابراهيم الى الخباء الى سارة وقال هلمي بثلاثة أصواع من دقيق سميذ فاعجنيها . .** ») أي ما يوازي ٣٩,٤ ليتراً، وهي كمية من الطحين تكفي لوجبة طعام يشترك فيها أكثر من مائة شخص، فلا يعقل أن تعدّ ربة بيت كمية هائلة من الدقيق كهذه. **إن هذه المبالغات التي تتجاوز حدود الواقع مقصودة للإشارة الى قدرة الله الفاعلة لخلاص البشر.** نجد مبالغة مماثلة في مثل الزارع (مرقس ٤ : ٣ ـ ٨، متى ١٣ : ٣ ـ ٨ ، لوقا ٨ : ٥ ـ ٨)، حيث نرى أن ما يقال عن نتاج الأرض الطيّبة (ثلاثين

وستين ومائة ضعف) يفوق بكثير واقع الاشياء، اذ قد ثبت، بالاستناد الى معطيات عديدة، أن مردود عشرة أضعاف كان يعتبر جيداً، بينما كان المردود الطبيعي سبعة أضعاف ونصفاً. فالمبالغة هنا أيضاً أسلوب شاع في العهد القديم وفي الأدب الديني اليهودي للإشارة الى غنى الخلاص الإلهي.

المهم إذاً هو، كما قلنا، التضاد بين هزالة الواقع الاول وعظمة الواقع الثاني. هنا يتبنى المثلان منظور البيئة الشرقية القديمة التي عاش فيها يسوع. لقد كان إنسان هذه البيئة، اذا راقب مختلف ظواهر الطبيعة، يلفت نظره الفارق البارز بين الحالة الاولى والحالة الاخيرة، فيلمس فيه فعل القدرة الإلهية. لذا نرى، ان في التلمود أو عند الرسول بولس (راجع ١ كو ١٥: ٣٥-٣٨) أو عند الانجيلي يوحنا (راجع يوحنا ١٢: ٢٤)، إن الحبّة المبذورة في الارض تُتخذ رمزاً للقيامة وصورة عن سرّ الموت والحياة، إذ أنها تجمع بين حالتين مختلفتين الكلية: فمن جهة الحبّة المطمورة في الأرض، ومن جهة أخرى الحقل المتماوجة سنابله، الموت من جهة ومن جهة أخرى الحياة الناجمة عن أعجوبة القدرة الإلهية. وقد كتب أحد الآباء الرسوليين،

إقليمس ، في رسالته الاولى : « فلننظر الى الثمار . كيف يتم الزرع ؟ يخرج الزارع ليلقي في الارض مختلف البذور ، وهذه تسقط جافة وعارية في الأرض وتغيب فيها . ولكن عناية السيّد العجيبة تبعثها من انحلالها عينه ، واذا بالحبّة الوحيدة تتكاثر وتعطي ثمراً» (١ إقليمس ٢٤ : ٤ - ٥) .

هكذا فهم سامعو يسوع هذين المثلين : إن الله يعمل ليخلق من بدايات هزيلة ، مما هو لا شيء في أعين الناس ، ملكوته القوي الذي سوف يضم كل شعوب العالم .

*من هنا يمكننا استنتاج المناسبة التي دعت الى إلقاء هذين المثلين . فقد أبدى البعض شكوكاً برسالة يسوع ، اذ كانوا يسمعونه ينادي بأن زمن الخلاص قد بدأ ولكنهم كانوا يجدون فرقاً شاسعاً بين ما كانوا ينتظرونه من زمن الخلاص وبين ما كانوا يشاهدونه بالفعل . فكانوا يتساءلون : هل يعقل أن تكون هذه الجماعة البائسة ، التي كان يختلط بها الكثيرون من أصحاب السمعة الرديئة ، هي فعلا الجماعة المعدّة لتكون موكب العرس الماسياني ؟ فمن خلال هذين المثلين يجيبهم يسوع : نعم ، إنها هي نفسها . أنتم تعلمون علم اليقين انه من حبّة خردل صغيرة للغاية تخرج بالضرورة

شجيرة ، وإن حفنة من أُلـدقيق تخمِّـر العجنـة كلهـا ، وكذلك يمكنـكم أن تتـأكدوا أيضـاً ان العمـل الإلهــي العجيب سيحوّل زمرتي الصغيرة الى شعب لله يجمع كل الأمم . وكأنه يقـول لهـم كما قال للصـدوقيين منـكري القيامة : « **إنكم تجهلو ن قدرة الله** » (مرقس ١٢ : ٢٥) وأيضاً : « **أنتم في ضلال كبير** » (مرقس ١٢ : ٢٧) .

ومما يعطي جواب يسوع وقعاً أقوى هو ما يستدل من الملاحظة التالية . لقد كان سامعو يسوع ، وهـم أليفـو التوراة ، ينظرون الى الشجرة الكبيرة على أنها تصوّر ، خاصة ، العظمة الارضية ، عظمة الممالك الوثنية (ففي المقطع الذي استشهدنا به من حزقيال ، تشير الى عظمة أشور ، وفي المقطع الذي أوردناه من دانيال ، تشير الى عظمة بابل) . كذلك كان التعليم الذي يتلقونـه حول معاني الفصح اليهودي وأكل الخبـز الفطـير بمناسبتـه ، يصوّر لهم حفنة الخمير التي تخمِّر العجنة كلها على أنهـا رمز للخبث والشر (نجـد صدى لهـذا التعليم في ١ كو ٥ : ٦ ـ٨) . ولكن يسـوع يفاجـىء سامعيه ، وبالتـالي يصدمهم ويلفت انتباههم الى أبعـد حد ، بتجرّئـه على إعطاء هاتين الصورتين تأويلا معاكساً ، إذ يشير بهما لا الى قوة الشرير بل الى قدرة الله الكلية .

ولـكن ، إن كانـت البـدايات غـير المرئية تؤ ول الى نهايات ظافرة ، فهذا يعني ان قوة تعمل منذ الآن في ما هو صغير لتجعله يفوق كل حد . ذلك ان الثمرة تخرج من البذار والنهاية من البداية . إذاً ففي اللحظـة الحـاضرة بداية محجوبة لما سوف يكون . لذا ينبغي للمرء أن يؤ من بأن الملكوت حاضر بشـكل خفـيّ في عالـم لا يريد ان يعترف به . وكأن يسوع يقول : إن هؤ لاء الناس الذين أعطـي لهـم أن يفهمـوا سرّ الملـكوت (راجــع مرقس ٤ : ١١) يرون منذ الآن ، في هذه البدايات الخفيّة وغير المنظورة ، مجد الله يتقدم .

مثلا القاضي الظالم والصديق الـذي طُرق بابه ليلاً

لقد رأينا أن مثلي حبة الخردل والخميرة يشيران إلى أن العمِل الإلهي العجيب سوف يحوّل « **القطيع الصغير** » الذي كان يتبع يسوع إلى شعب لله يجمع كل الأمم . وكأن يسوع يقول : انطلاقاً من لا شيء ، يتمم الله ما بدأه ، رغم كل أنواع الفشل (تلك الأنواع التي يشير إليها مثل الزارع) . يجب بالتالي أن يؤخذ الله على محمل الجد وأن يعتمد عليه رغم كل المظاهر المضادة . لكن على ما تسند ثقة كهذه ؟ هذا ما يجيب عنه مثلان قريبان جداً أحدهما من الآخر ، مثل القاضي الظالم ومثل الصديق الذي طُرق بابه ليلاً .

مثل القاضي الظالم

(لو ١٨ : ٢ ـ ٨)

العدد ٢ ـ « كان في إحدى المدن قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب الناس» هذه الآية يفسّرها العدد ٦ الذي يتحدث عن « **القاضي الظالم** » ، والأرجح أن هذه العبارة تشير إلى قاضٍ يقبل الرشوة .

العدد ٣ ـ « وكان في تلك المدينة أرملة تأتيه فتقول : أنصفني من خصمي ». ليست تلك الأرملة بالضرورة عجوزاً كما قد نتصوّرها . فقد كانت البنات في ذلك العهد يزّوجْنَ في سن باكرة جداً (١٣ أو ١٤ سنة) ، ولذا كانت بعض الأرامل في مقتبل العمر . أمّا القضيّة التي كانت أرملة المثل ترافع بشأنها ، فلا بد أنها قضيّة مالية ، لأنها تشتكي إلى قاض منفرد ، بينما لو كانت القضيّة تتعلق بشأن آخر لكان اقتضى عليها أن ترفعها إلى محكمة . وقد تكون هذه الأرملة حُرِمت من حصة لها في ميراث أو ما شابه ذلك . ولكنها كانت فقيرة ولم يكن بوسعها أن تقدّم هديّة للقاضي : فقد سبق أن صوّر العهد القديم الأرامل والأيتام على أنهم نموذج الناس الذين لا عون لهم ولا حماية . كما يمكن الاعتقاد أن خصمها كان رجلاً غنيّاً ومعتبراً ، لذا لم يكن للأرملة

سلاح آخر سوى عنادها . هذا العناد تشير إليه صيغة الفعل التي وردت على الشكل الآتي : « **كانت تأتيه**»، وهي صيغة تشير إلى التكرار وتعني أن الأرملة كانت لا تزال تتردد على القاضي .

العددان ٤ و ٥ : « **فأبى عليها ذلك مدة طويلة ، ثم قال في نفسه : أنا لا أخاف الله ولا أهاب الناس ، ولكن هذه الأرملة تبرمني ، فسأنصفها لئلا تظل تأتي وتصدع رأسي** » .

يستجيب القاضي للمرأة لا خوفاً من ثورات غضبها ، إنما بسبب عنادها فقط . فقد تعب من شكواها الدائمة ورغب في استعادة طمأنينته . إن سلوك القاضي هذا مأخوذ من صميم الحياة كما تشهد حادثة واقعية يستشهد بها جارامياس في معرض شرحه للمثل . فقد وصف تريسترام في كتاب صدر في لندن سنة ١٨٩٤ مشهداً لمحكمة في نصيبين (ما بين النهرين) يلقي ضوءاً على مضمون المثل الذي نحن بصدده . قال أن القاضي كان جالساً قبالة المدخل ، نصف محتجب بين الوسادات التي كان يتكىء عليها ، ومحاطاً بكتّابه . وكان الشعب يزدحم في القسم الأول من القاعة ، وكل منهم يحاول أن

يُنظـر في قضيتـه قبــل سواه . وكان أكثرهــم شطــارة يتهامسون مع الكتّاب ويدسـون بخشيشـاً في يدهـم ، فتُنهى أمورهم بسرعة . وفي هذه الأثناء كانت امرأة فقيرة تقاطع باستمرار مجرى المحاكمـة صائحـة بأنهـا تطالـب بإنصافها . وقد أُنّبت على ذلك بشدة وأُخذ عليها مجيئها اليومي إلى المحكمة . أمّا هي فصاحت بصـوت عال : سأستمر في ذلك إلى أن يستمع إليّ القاضي . وفي آخـر الجلسة ، سأل هذا بفراغ صبر : « ما الذي تريده هذه المرأة ؟ » . فعرضـوا عليه قضيتهـا بسرعـة : لقـد كان الجابي يريد أن يرغمها على دفع الضريبـة مع أن ابنهـا الوحيد كان قد أُخـذ إلى الجنـدية . فحسمـت قضيتهـا بسرعة وهكذا نالت مكافأة مثابرتها . أمّـا لو كان لديهـا مال ترشي به أحد الكتّـاب لكانـوا أنصفوهـا قبـل ذلك بكثير .

العددان ٦ و ٧ : « **ثم قال الرب : إسمعـوا ما قال القاضي الظالم . أفما ينصف الله مختاريه الذين يدعونـه ليل نهار ، وهو الذي يلطف بهم ؟** » .

الترجمة الصحيحـة لآخـر العـدد ٧ هي حسـب رأي جاراميـاس : «مـع أنـه يدعهـم ينتظـرون» (عـوض :

وهو الذي يلطف بهم). فيكون المعنى: أفما ينصف الله مختاريه... مع أنه يؤجل تدخله؟

العدد ٨: « **أقول لكم : أنه يسرع إلى أنصافهم . ولكن ، أيجد ابن الإنسان ، يوم يأتي ، الإيمان على الأرض ؟** » .

عبارة « يسرع » وردت في الأصل اليوناني En tachéi وهذا يعني « بصورة مفاجئة ، غير منتظرة » . فيكون المعنى : أن الله سينصف مختاريه على غير انتظار .

لقد رأى لوقا في هذا المثل دعوة إلى الصلاة الحقيقية ، كما يتضح من المقدمة التي أوردها : « **وضرب لهم مثلاً في وجوب المداومة على الصلاة من غير ملل** » (لوقا ١٨ : ١) . إلا أنه لا يبدو - على رأي جاراماياس - أن هذا هو المغزى الحقيقي للمثل . فلو كان مغزاه الدعوة إلى الصلاة ، لكانت الشخصية الرئيسية فيه شخصية الأرملة . ولكن يبدو من كلام يسوع (ع ٦ إلى ٨) أن الشخصية الرئيسية إنما هي شخصية القاضي . إن مغزى المثل يعبَّر عنه في العددين ٧ و ٨ اللذين يدعو فيهما الرب سامعيه إلى أن يطبّقوا على الله مضمون ما رواه لهم .

وكأنه يقول : أنظروا هذا الرجل الخالي من الوجدان ، الذي يرفض الاستماع إلى الأرملة . أنه في آخر المطاف يقدم لها المعونة في شدتها ، ولو أنه لم يفعل ذلك إلا بعد تردد طويل ومن أجل التخلص من مضايقة هذه المرأة له ليس إلاّ . فكيف لا يقدم الله بالأحرى على ما أقدم عليه هذا القاضي رغم ظلمه ؟ إنه يصغي إلى مختاريه ، وحاجاتهم تصل إلى قلبه وسوف يقدم لهم الخلاص بصورة مفاجئة .

يبدو أن هذا المثل قد وُجِّه إلى التلاميذ في الظرف الآتي : لقد اعتراهم القلق عندما تصوّروا الأزمنة القاسية التي أنبأهم يسوع عنها بصراحة ورأوا كيف أنهم سوف يطردون ويهانون ويوشى بهم ويستجوبون ويستشهدون . فتساءلوا من يثبت إلى المنتهى . هنا يجيبهم يسوع : لا تخشوا على إيمانكم من الاضطهاد . أنتم مختارو الله وهو سوف يسمع نداءكم لا تشكّوا في قدرته ورفقه ومعونته : إنها أثبت ما في الوجود. ولا تهتموا سوى بأمر واحد ، ألا وهو أن تجاهدوا لحفظ الإيمان ، واضعين نصب أعينكم هذا السؤال : « أيجد ابن الإنسان ، يوم يأتي ، الإيمان على الأرض ؟ » .

مثل الصديق الذي طُرق بابه ليلاً (لوقا ١١ : ٥ - ٨) .

العدد ٥ : « **من منكم يمضي إلى صديق له نصف الليل ، ويقول له : يا أخي ، أقرضني ثلاثة أرغفة** » .

هذا المثل يقدم لنا لوحة حيّة عن مجرى الحياة العادية في قرية فلسطينية . فليس في القرية متجر للخبز ، بل إن كلّ ربة بيت تصنع كل يوم ، قبل شروق الشمس ، الخبز الذي تحتاجه عائلتها ، والقرية تعرف من منها بقي عنده خبز حتى المساء . أمّا الإشارة إلى « **ثلاثة أرغفة** » ، فتعود إلى أن عدد الأرغفة هذا كان ولا يزال يشكل وجبة شخص واحد . أمّا عبارة « **أقرضني** » فتعني أن الجار ينوي رد الأرغفة بسرعة كما هي العادة أيضاً .

العدد ٦ : « **فقد وفد عليَّ صديق من سفر ، وليس عندي ما أضيفه** » . الضيافة في الشرق واجب يفرضه الشرف ولا يمكن للمرء أن يتملص منه مهما كانت الظروف .

العدد ٧ : « **فيجيب ذاك من الداخل : لا تكلفني ، فالباب مقفل وأولادي معي في الفراش ، فلا يمكنني أن أقوم فأعطيك ؟** » .

إن غيظ الصديق الـذي أزعـج يتجلّى أولاً في إغفـال عبارة « **يا صديقي** » في جوابه ، بينما استعمل صديقه هذه العبارة عندما توجّه إليه (ع ٥) ، لا بل في إغفالـه أية عبارة مناداة أخرى ، فيدخل في الموضوع مباشرة دون أية مقدمة مما تفرضه المجاملة . أمّا عبارة « **الباب مقفل** » ، فقد وردت في الأصل اليوناني بما معناه « **أنه مقفل منـذ زمن طويل** » . فالناس كانـوا ينامـون باكراً لأن بيتهـم معتم في المساء ولأن المصباح الزيتي الصغـير الـذي كان يبقـى مشتعـلاً طيلـة الليل لم يكن يعطـي سوى نور ضعيف . أمّا عملية قفل الباب فقد كانت تتم بواسطـة لوحة خشبية أو قضيب حديدي يخترق حلقات مثبتـة في المصراعين . لذا كان فتح البـاب عملية معقـدة وشاقـة تحدث ضجة كبيرة .

« **وأولادي معـي في الفـراش** » . يبـدو أن الترجمـة الصحيحة للنص اليونانـي هي : وأولادي هم ، مثلي ، mét'emou ، في الفراش .

نتصوّر البيت الصغير الذي يسكنه الفلاح وهو مؤلف من غرفة واحدة ، تنام العائلة كلها على حصير في مكان مرتفـع منهـا ، بحيث أنـه ، إذا قام رب البيت ليفتـح المزلاج ، أيقظ الضجيج سائر أفراد الأسرة .

« لا يمكنني أن أقوم » تعني هنا ، كما تعني كثيراً في الحياة : « لا أريد أن أقوم » .

العدد ٨ : **« أقول لكم : إن لم يقم ويعطه لكونه صديقه ، فإنه ينهض للجاجته ، ويعطيه كل ما يحتاج إليه » .**

« كل ما يحتاج إليه » ، أي أنه لن يكتفي بتلبية الطلب البسيط الموجّه إليه ، إنما سيلبّي كل حاجات صديقه .

لقد أدخل لوقا الإنجيلي هذا المثل في سياق تعليم عن الصلاة ، وأوّله على أنه حث على الصلاة الدائبة ، وهذا ما تشير إليه خاصة الأعداد ٩ إلى ١٣ من هذا الإصحاح . ولكن جاراماياس لا يعتقد بأن هذا هو المعنى الأصلي لهذا المثل . وهو يدعم وجهة نظره بالاعتبارات التالية : لو كان هذا المعنى هو المقصود لروى لنا المثل قصة إنسان يرفض أولاً تلبية طلبة صديقه ثم يَستجيب له بناء على لجاجته، ولكانت الشخصية الرئيسية بالتالي شخصية السائل الذي انتزع بإلحاحه ما كان يرغب به. ولكن تحليل بنية المثل يثبت عكس ذلك . فإنه يبدأ بعبارة «من منكم؟» (١١ : ٥)، وهي دوماً، في

العهد الجديد، مقدمة لسؤال لا بد من الإجابة عليه بشكل قطعي، أمّا سلباً «مستحيل، لا أحد»، أمّا إيجاباً «مفهوم! كل واحد!» (راجع بهذا الصدد متى ٦: ٢٧ ولوقا ١٢: ٢٥؛ متى ٧: ٩ ولوقا ١١: ١١؛ متى ١٢: ١١ ولوقا ١٤: ٥؛ لوقا ١٤: ٢٨و١٥: ٤و ١٧: ٧). ولكن السؤال الذي تفتتحه عبارة «من منكم؟» لا يكتمل هنا إلاّ في نهاية العدد ٧، بحيث يشكل المقطع الممتد من العدد ٥ إلى العدد ٧ سؤالاً واحداً. إن فحوى هذا السؤال هي الآتية: «هل تتصوّرون أحداً منكم يأتيه صديق له ليلاً ليقول له: «يا صديقي أقرضني ثلاثة أرغفة لأن أحد أصدقائي عاد من السفر وليس لدي ما أقدمه له»، فيجيب من الداخل: «دعني وشأني»؟.. هل تستطيعون أن تتصوّروا ذلك؟ فيكون الجواب المحتوم: «هذا مستحيل! لا يمكن، في أي حال من الأحوال، أن يدع صديقه في ورطة!». هكذا فالعدد ٧ لا يصف لنا رفضاً يجابه به صاحب البيت طلب السائل، إنما ينوّه بهذا الرفض للإشارة إلى استحالته بموجب عادات الضيافة في الشرق. وبالتالي يكون العدد ٨ لا إشارة إلى طلب جديد قام به الجار ونال على أساسه مبتغاه، إنما مجرد تعبير عن الأسباب التي تدفع صديقه للإستجابة لطلبه: فإن لم

يستجب له بسبب الصداقـة، فعلى الأقـل ليتخلص من لجاجته. (ويقـول جاراميـاس أن العبـارة اليونـانية التـي ترجمـت «للجاجتـه» تحتمـل ترجمـة أخـرى إذا عدنـا إلى خلفيتها الآرامية فيصبح معناها: لئلا يظهر بمظهـر عدم الكياسة). هكذا يكون العـدد ٨ مجـرد تأكيد للجـواب الذي يفترضه السؤال «من منكم؟»، ألا وهو: هذا أمر مستحيل. هذا يعني أن محـور القصـة ليس السائـل بل الصديق الذي أُقلق نومه. وبالتالي فالمثل يقود إلى نفس الخلاصة التي يقود إليها مثل القـاضي الظالـم. ويكون مغزاه كما يلي: إذا كان الصديق الذي أُقلق ليلاً لا يتردد عن الإستجابة لجاره المرتبك، ولو أدّى به ذلك إلى إيقاظ ذويه عنـد فتحـه المزلاج، أفـلا يكون هذا صحيحـاً بالأحرى بالنسبة لله؟ فهو يستمع إلى الذين هم في حاجة ويعينهم، ولذا يمكنكم أن تثقوا به بيقين.

الأمثال التي تدعو الى السهر لمواجهة الأزمة المصيرية العتيدة

مقدمة

إن الثقة بالله التي بشّر بها يسوع لا تغني بنظره عن النضال ، انما تمنح المرء طمأنينة عميقة وسط معاناة جهاده . ذلك ان يسوع لم يخف على سامعيه أنهم سوف يواجهون صراعاً لا بد لهم من اتخاذ موقف منه . فملكوت الله الذي أقبل بيسوع الى العالم ، سوف تتألّب عليه قوى الظلمة محاولة سحقه ، وستشن عليه هجمة شرسة تؤدي الى قتل يسوع نفسه . هناك إذاً أزمة وشيكة لا بد وانها حاصلة ، ولذا فإن عدداً من أمثال يسوع يمكن ان تسمّى «أمثال الأزمة» . في هذه الأمثال يدعو يسوع سامعيه الى السهر لئلا تفاجئهم الأزمة العتيدة ، ذلك لأنه سوف يطلب منهم ، إذا نشبت ، ان يحسموا موقفهم من الملكوت ، اذ لا يمكنهم ان يكونوا

على الحياد ، فأمّا هم مع يسوع وأمّا هم ضده : « من ليس معي فهو عليّ ، ومن لا يجمع معي فهو يفرق» . والخيار هذا مصيري . فالله يأتي بيسوع الى الأرض ليملك فيها ، أي ليحررها ويجددها ، وعلى الناس ان يحددوا موقفهم من عمل الله الخلاصي هذا ، فيختاروا بين العتاقة والتجدد ، بين العبودية والحرية ، بين الأنانية والمحبة ، بين الظلمة والنور ، بين الموت والحياة . انهم بهذا الاختيار يحددون مصيرهم الفردي والجماعي، الأرضي والأبدي. فمن شاء ان يكون مع يسوع، فهذا قد تقبّل فرح الملكوت عبر التمزق والاضطهادات، أمّا من رفض يسوع متعبداً لأهوائه فقد جعل نفسه مقصياً عن ملكوت الحياة والنور والحرية. هذا ما عبّرت عنه كلمة منسوبة ليسوع لم ترد في الاناجيل (agraphon) وهي: «من كان بقربي فهو قرب النار، من كان بعيداً عنّي فهو بعيد عن الملكوت» .

لذا فالامثال التي سوف نأتي على شرحها الآن تدعو كلها الى الحكمة والسهر والاستعداد كي لا يباغَت الانسان اذا نشبت الازمة المرتقبة بل يختار عند ذاك« النصيب الصالح» . فالدينونة تبدأ عند ذاك ، لذا فلم يعد من مجال للتباطؤ .

مثل الوكيل الخائن
(لوقا ١٦ : ١ ـ ٨)

العدد ١ : « **كان رجل غني وكان له وكيل ، فنقل إليه أنه يبذر أمواله»** :

« **كان رجل غني»** : الارجح ان هذا المثل يضعنا في الإطار الاجتماعي الجليلي حيث كانت تكثر الملكيات العقارية الكبرى . غني المثل يملك أرضاً واسعة ، ولا بد أنه يسكن في غير أرضه فينيب عنه وكيلا في غيابه .

« **نقل إليه انه يبذر أمواله»** : ذلك أنه لم يكن في الشرق في ذلك العهد من مراقبة منتظمة على الحسابات . لذا لم يطلع صاحب الملك على سرقات الوكيل إلاّ عن طريق وشاية .

الأعداد ٢ ـ ٧ : « **فدعاه وقال له : ما هذا الذي أسمع عنك ؟ أدّ حساب وكالتك فلا يصح بعد اليوم ان تكون لي وكيلا . فقال الوكيل في نفسه : ماذا أعمل ؟ فإن سيّدي يسترد الوكالة منّي ، وأنا لا أقوى على الفلاحة ، وأستحيي من الاستعطاء . فقد عرفت ماذا**

أعمل ، حتى اذا نزعت عن الوكالة ، يكون هناك من يقبلني في بيته . فدعا مدينى سيّده واحداً بعد الآخر وقال لأحدهم : كم عليك لسيّدي ؟ قال : مائة كيل زيتاً. فقال له· إليك صكك ، فاقعد من وقتك واكتب خمسين . ثم قال للآخر : وأنت كم عليك ؟ قال : مائة كيل قمحاً. قال له: إليك صكك، فاكتب ثمانين».

العدد ٥ : « **فدعا مديني سيّده»** : هؤلاء المدينون هم أمّا مستأجرو الأرض الذين كان يتوجب عليهم ان يسلّموا المالك جزءاً من محاصيل أراضيهم (النصف أو الثلث أو الربع) بمثابة بدل ايجار، وأمّا تجّار بالجملة ابتاعوا من المالك بعض منتوجات أرضه ووقّعوا لقاء استلامهم إياها على صكوك ديون.

العدد ٦ : « **مائة كيل زيتاً»** ، أي ٣٦,٥٠ هيكتوليتراً من الزيت ، مما يناسب تقريباً محصول ١٤٦ شجرة زيتون ويبلغ ثمنه حوالي ١٠٠٠ دينار .

العدد ٧ : «**مائة كيل قمحاً**»، أي ٣٦٤,٤٠ هيكتوليتراً أو ٢٧ طناً ونصف من القمح، مما يعادل محصول ٤٢ هكتاراً من الأرض ويبلغ ثمنه حوالي ٢٥٠٠ دينار.

إنها إذاً ديون باهظة . أمّا الحسم الذي أعطاه الوكيل

للمدينين ، وقدره ١٨ هيكتو ليتراً من الزيت و٧٣ هيكتو ليتراً من القمح ، فهو تقريباً نفسه في الحالتين من حيث القيمة المالية ، أي ما يعادل ٥٠٠ دينار ، وذلك لأن الزيت أغلى من القمح بكثير .

العددان ٦ و٧ : « **إليك صكك ، فاقعد من وقتك واكتب خمسين . . . إليك صكك ، فاكتب ثمانين** » . نلاحظ ان الوكيل يحتفظ بالصكوك بعد ان يطلب من المدينين تغيير محتواها بيدهم ، علّ غشه لا يكتشف .

العدد ٨ : « **فأثنى السيد على الوكيل الخائن ، لأنه كان فطناً في عمله . وذلك أن أبناء هذه الدنيا أكثر فطنة مع أشباههم من أبناء النور** » .

يرتأي جارامياس أن عبارة « السيّد» Kyrios الواردة هنا كانت على الأرجح تشير في الاصل الى يسوع . فيكون المقصود ، والحالة هذه ، ان يسوع أثنى على الوكيل الخائن .

إن هذا المثل كثيراً ما يسبب صدمة لسامعيه ، وذلك لأنه يقدم كنموذج رجلا غير مستقيم . ولكن الصدمة هذه ليست لها ما يبررها . فيسوع لا يثني على الوكيل

الخائن لأنه أساء الأمانة (فإنه يصنفه بوضوح على انه من غير «**أبناء النور**» كما يتضح من الجزء الثاني من العدد ٨)، بل بسبب **فطنته** (ع٨)، أي لأنه أحسن التخلّص من مأزقه الحرج . ان يسوع عندما روى هذا المثل ، انطلق على الأرجح من حادثة قصها عليه الناس باستنكار . وقد اتخذها بقصد مثلا لأنها مثيرة بحد ذاتها وبالتالي فهو يضمن بها إثارة انتباه السامعين الذين لم يسبق لهم أن سمعوها. هؤلاء انتظروا ولا بد من يسوع شجباً حازماً لسلوك الوكيل ، واذا بهم يفاجأون لكونه ، على العكس ، أثنى على المخادع . وكأن يسوع يقول لهم : أنكم تستنكرون سلوكه ، ولكن انتبهوا ! فأنتم في نفس الوضع الذي كان هو يتخبط فيه . فقد أقبل الملكوت وعليكم ان تحددوا مصيركم من خلال تحديد موقفكم منه ، والخطر الذي يهددكم أعظم بكثير من ذاك الذي كان يهدده. لقد أدرك هو ذلك فعمل قبل فوات الأوان، قبل ان تنقضّ عليه المصيبة التي كانت تهدده. صحيح أنه تصرّف على نمط غير مستقيم، ولكن ليس هذا هو الموضوع. إنه تصرّف بجرأة وفهم ليهيء لنفسه حياة جديدة. وها ان «الساعة» الحاضرة تتطلب منكم أن تكونوا حكماء مثله.

مثل الغني ولعازر

(لوقا ١٦ : ١٩ - ٣١)

هذا المثل يستند إلى قصة معروفة، موضوعها كيف تنعكس الأوضاع في الآخرة . وهي مبنيَّة بدورها على قصة مصرية نقلها يهود الإسكندرية إلى فلسطين حيث أصبحت قصة « الكاتب الفقير والعشّار الغني بارمجان » ، التي سبق لنا أن عرضنا فحواها . وقد استخدم يسوع هذه القصة في مثل العشاء الكبير (راجع شرح هذا المثل) كما أنه استخدمها في المثل الذي نحن الآن بصدده . في نهاية الجزء الأول من القصة المذكورة ، رأينا ، كما يذكر القراء ، أن الكاتب (أي اللاهوتي) دُفن دون أن يشارك أي موكب في مأتمه ، بينما دُفن العشار باحتفال فخيم . أمّا خاتمة القصة فهي على الوجه التالي : لقد أتيح لأحد زملاء الكاتب الفقير أن يرى في الحلم ما

آل إليه مصير الرجلين في الآخرة . وتقول القصة : « وبعد بضعة أيام ، رأى هذا الكاتب زميله في بستان ذي جمال فردوسي ، تخترقه مياه جارية . ورأى أيضاً بارجان ، العشار ، وإذا به على ضفة نهر يحاول دون جدوى إدراك الماء » . من هذه الخاتمة التي كان يعرفها سامعوه ، انطلق يسوع في سرد مثل الغني ولعازر .

العدد ١٩ : « كان رجل غني يلبس الأرجوان والخز ، ويتنعم كل يوم بأفخر المآكل » .

لم يكن هذا الغني محتاجاً إلى العمل ، وكان يسعه كل يوم أن يولم الولائم وأن يرتدي ثياب الأرجوان الخاصة بالأشراف وقمصاناً من نسيج ناعم وفاخر مستورد من مصر . لقد كان كافراً ومنحلّ الأخلاق ، ولم يكن الرب بحاجة إلى إبراز هذه الناحية من سلوكه التي كان يعرفها السامعون مَن القصة التي استند إليها المثل .

العدد ٢٠ : « وكان رجل مسكين اسمه لعازر منطرحاً عند بابه قد تغشته القروح » .

لعازر هو الشخصية الوحيدة التي أعطيت إسماً في الأمثال ، مما يشير إلى أن لهذه التسمية مدلولاً خاصاً قصده يسوع وسوف نأتي على ذكره فيما بعد . أمّا معنى

الإسم فهو « الله إزري » ، « الله عوني » . لقد كان لعازر هذا عاجزاً (هذا ما تشير إليه عبارة « كان منطرحاً») ومصاباً بمرض جلدي («تغشته القروح»). وقد اضطر للتسول، لذا اختار أن يتواجد أمام مدخل قصر الغني، حيث كان يطلب صدقة من المارين، والكثيرون منهم من مدعوي الغني.

العدد ٢١ : « وكان يشتهي أن يشبع من فتات مائدة الغني . وأن الكلاب نفسها كانت تأتيه وتلحس قروحه » .

إن صيغة العبارة اليونانية التي ترجمت هنا « كان يشتهي » تشير دائماً عند لوقا الإنجيلي إلى رغبة لا تحقق . فالمقصود إذاً أن لعازر كان يشتهي أن يشبع من فتات مائدة الغني ، ولكنه لم يكن يجد إلى ذلك سبيلاً .

أمّا ما يترجم هنا « بالفتات » ، فالعبارة اليونانية، إذا قوبلت بالأصل الآرامي الذي يفرض أن تكون نقلته ، تفيد : « شيئاً مما كان الجالسون إلى مائدة الغني يلقونه إلى الأرض » . والمقصود إذاً ليس الفتات المتساقطة على الأرض ، إنما قطع الخبز الذي كان المدعوون يمسحون بها أيديهم ثم يرمونها . فلكم كان الفقير يتمنى لو استطاع

أن يسد جوعه بتلك النفايات !

أمّا « الكلاب » المذكورة في هذا المقطع ، فهي حيوانات متشردة ونصف برّية تتحرش به دون أن يتمكن ذلك البائس ، وهو مشلول ووحيد ونصف عار ، أن يحتمي منها .

العدد ٢٢ : **« ومات المسكين فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم . ثم مات الغني ودفن »** .

« إلى حضن إبراهيم » : هذه العبارة تشير إلى مركز الشرف في المأدبة الإلهية ، إلى يمين إبراهيم ، أبو العائلة . أنه نفس المركز المميّز الذي شغله يوحنا الحبيب في العشاء الأخير الذي صنعه الرب مع تلاميذه : « وكان أحد التلاميذ ، ذاك الذي كان يسوع يحبه ، متكئاً في حضن يسوع » (يوحنا ١٣ : ٢٣) . فقد كان الآكلون يتكئون متمددين حول المائدة ، والمتكىء أمام غيره كانوا يقولون عنه أنه متكىء في حضنه .

بموجب التعليم اليهودي التقليدي عن الثواب والعقاب ، كان من المفروض أن يعتبر لعازر خاطئاً كبيراً ، لأنه كان يعاني من أثر البلايا في حياته الأرضية ، وإذا به يبدو هنا على رأس الصدّيقين : لقد نال أفضل

مركز يرتجى. هكذا نشهد انقلاباً في الأوضاع: إذ أن ذاك الذي كان على الأرض يرى الغني جالساً إلى مائدته الفاخرة فيما هو منطرح على الحضيض، قد أتيح له الآن أن يجلس هو في رأس مائدة الوليمة. ذاك الذي كان محتقراً على الأرض يتمتع الآن بأعظم الإكرام. ومن جراء ذلك يتحقق كون الله هو حقاً إله الفقراء والمتروكين.

«ثم مات الغني ودفن»: هنا يلمّح يسوع الى المأتم الفخيم الذي أقيم للغني عند دفنه والذي تتحدث عنه القصة المعروفة التي رأينا أنها تشكل خلفية المثل.

العدد ٢٣ : **« فرفع عينيه وهو في الجحيم يقاسي العذاب، فرأى إبراهيم عن بعد ولعازر في أحضانه »** .

لا يتحدث المثل هنا عن المصير النهائي للإنسان في الآخرة بل عن الحالة الانتقالية التي تكون فيها النفس بعد الموت بانتظار الدينونة. ومما يشير إلى ذلك أن العبارة اليونانية التي ترجمت هنا « بالجحيم » هي hadès التي تشير إلى « مقر الأموات ». فالعهد الجديد، كما يقول جارامياس، يميّز دوماً بين الجحيم hadès الإنتقالي وجهنم النهائية. و « الجحيم » كان يشير أولاً في الفكر

اليهودي إلى حالة الأموات على وجه العموم كما كانوا يتصوّرونها عندما كان يبدو لهم أن الثواب والعقاب محصوران في الحياة الأرضية وحدها ، أي كوجود طيفي قاتم وكئيب (راجع مثلاً مزمور ٨٧ : ١٠ ـ ١٢) . ثم توضحت تدريجياً فكرة الثواب والعقاب بعد الموت ، فأصبح « الجحيم » يشير إلى حالة البعد عن الله والعذاب الناتج عن هذا الإبتعاد . وازدهر ابتداء من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد أدب رؤيوي يهودي جُمع جزء منه في « كتاب أخنوخ » ، وقد وصف هذا الأدب بشكل صور رمزية (إذ لا بد من الرموز للإشارة إلى ما لا يستطاع التعبير عنه لا بالفكر ولا بالخيال) حالة الأبرار والأشرار الإنتقالية بعد الموت ، فصوّر الأشرار مطروحين في هاوية النار مع الملائكة الأردياء بينما الأبرار مقيمون مع البطاركة (إبراهيم وإسحق ويعقوب) في بستان نعيم يشاركون وإياهم في وليمة بانتظار يوم القيامة . إن يسوع يتبنى هنا هذه الصور المعروفة من سامعيه(١) ، ويصادق على ما تشير إليه من بدء سعادة يمنح للأبرار مباشرة بعد الموت ومن بدء عذاب يلحق بالأشرار في ذلك الحين عينه .

العدد ٢٤ : **« فنادى : إرحمني يا أبت إبراهيم ، وارسل لعازر ليبل طرف أصبعه في الماء ويبرد لساني ،**

فإني أعاني أشد العذاب في هذا السعير» .

إن الغني يستند إلى صفته كإبن لإبراهيم (« يا أبت») ، أي أنه يعتمد على برّ إبراهيم، معتقداً أن انحداره منه يتيح له بأن يشارك في ثواب هذا البرّ. إن بساطة ما يطلبه تشير إلى شدة آلامه: فإن قطرة ماء واحدة على لسانه تبدو له أمراً محبباً لأنها تخفف ولو قليلاً عذابه (بالطبع هذا السعير إشارة إلى النار المعنوية التي يكتوي بها الإنسان إذا أصبح برفضه لله متغرّباً عن مصدر حياته وفرحه. الحب الإلهي يبقى هو هو ولكنه، كما علّم الآباء، يصبح مصدر سعادة للذين يتقبّلونه ومصدر شقاء للذين يرفضونه).

العددان ٢٥ و ٢٦ : **« فقال إبراهيم : يا بني، تذكر أنك نلت خيراتك في حياتك ونال لعازر بلاياه . أمّا اليوم فقد نال التعزية وأنت نلت العذاب . ومع هذا كله ، فقد أقيمت بيننا وبينكم هوة عميقة ، حتى أن الذين يريدون الاجتياز من هنا إليكم لا يستطيعون ، ولا الذين هناك يستطيعون الاجتياز إلينا».**

يُعترف للغني بصفته كإبن لابراهيم (« يا بني ») ، ولكن لا يُعترف له بقيمة الخلاص المرتبطة في ذهنه بهذه الصفة . وهذا ما يذكرنا بتعليم المعمدان : « ولا يخطر

ببالـكم أن تعللـوا النفس فتقولـوا : « أنّ أبانـا هو إبراهيم » . أقول لكم : أن الله قادر على أن يخرج من هذه الحجارة أبناء لابراهيم » (متى ٣ : ٩) . وكذلك بما قاله الرب يسـوع لليهـود : « أنـا أعلـم أنـكم ذرية إبراهيم ولكنكم تريدون قتلي لأن كلامي لا يجـد إليكم سبيلاً ، أنا أقول بما رأيت عند أبي وأنتـم تعملـون بمـا سمعتـم من أبيكم » . فأجابـوه : « إن أبانـا هو إبراهيم » . فقال لهم يسوع : « لو كنتم أبناء إبراهيم ، لعملتـم أعمال إبـراهيم . ولكنـكم تريدون قتلي ، أنـا الذي قال لكم الحق الذي سمعه من الله ، وهذا لم يفعله إبـراهيم . . . » (يوحنـا ٨ : ٣٧ ـ ٤٠) . فالنسبـة لابراهيم لا تنفع ولا يكون لها مضمون حقيقـي إلا إذا اقترنت بالأعمال الصالحة .

قد يُفهـم من حرفية النص أن الثـواب والعقـاب في الآخرة هما مجرد عكس للأوضـاع الأرضية ، بحيث أن الغنى الأرضي يؤدي حكماً إلى عذاب في الآخرة والفقر الأرضي يؤ ول حكماً إلى راحة في الآخرة . ولـكن ليس هذا ما يقصده يسوع . فالقصة التي يلمّح إليها، والتي تشكل خلفية المثل، تشير بوضوح إلى أن سبب عقـاب الغني إنما هو كفره وأنانيته، بينما ثواب الفقـير ناتـج عن

تقواه وطاعته لله . وبما أن هذه القصة كانت معروفة ، لم يجد يسوع حاجة إلى التأكيد على هذه الناحية ، إنما اكتفى ببعض التلميحات إليها ، ومنها إسم لعازر (« الله عوني ») ، مما يشير إلى أن الفقير كان قد جعل ثقته بالله ، شأن تلك العائلة الروحية التي كانت حيّة جداً في يهودية تلك الأيام ، عائلة « فقراء يهوه » التي كانت تتألف من أناس أكثرهم من المحتاجين كانوا يسلّمون ذواتهم لله بثقة وفرح ، منتظرين منه الخلاص)(٢) ، ومنها أيضاً لا مبالاة الغني بالفقير المنطرح عند عتبة بيته ، ومنها صلاة الغني (ع ٢٧ ـ ٣٠) التي يعبّر فيها عن رغبته في أن « يتوب » إخوته لئلا يشاركوه نفس المصير .

الأعداد ٢٧ و٢٨و٢٩ :« فقال : أسألك إذاً يا أبت أن ترسله إلى بيت أبي ، لأن لي خمسة اخوة . فلينذرهم مخافة أن يصيروا هم أيضاً إلى هذا الجحيم . فقال إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء ، فليستمعوا إليهم » .

« عندهم موسى والأنبياء » : هذه العبارة تلخص كل الإعلان الإلهي في العهد القديم . إنها ، كما يتأكد من لوقا ٢٤ : ٢٧ ـ ٤٤ (ظهور المسيح الناهض من الأموات للتلميذين الذاهبين إلى عمواس وتفسيره لهما لما ورد عنه « في جميع الكتب من موسى إلى سائر

الأنبياء ») ، لا تنفي بل تفترض قبول الإعلان الماسياني الذي هو تتمة الإعلان كله : « لا تظنوا أني جئت لأبطل كلام الشريعة والأنبياء : ما جئت لأبطل بل لأكمل » (متى ٥ : ١٧).

العددان ٣٠ ـ ٣١ : « **فقال : لا يا أبت إبراهيم ، ولكن إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون فقال له : إن لم يستمعوا إلى موسى والأنبياء ، لا يقتنعوا ولو قام واحد من الأموات** » .

يبدو أن هناك تدرجاً في طلب الغني ، بحيث اكتفى أولاً بمجرد ظهور لعازر لاخوته ، ربما في رؤيا أو حلم ، ثم تطرق إلى احتمال قيامته الجسدية : ولكن إبراهيم يجيب أنه حتى معجزة كهذه ، وهي تفوق كل المعجزات ، من شأنها أن تبقى دون أثر على أناس قسّوا قلوبهم إلى درجة رفض الإعلان الإلهي المعبّر عنه بموسى والأنبياء .

* * *

إن هذا المثل هو أحد الأمثال الأربعة ذات المغزيين . فموضوع الجزء الأول منه (ع ١٩ ـ ٢٦) هو كيف تُعكس الأوضاع في الآخرة . أمّا الجزء الثاني (ع ٢٧ ـ

٣١) فيتعلق برجاء الغني إلى إبراهيم بأن يرسل لعازر إلى اخوته الخمسة . وطالما أن الجزء الأول يتعلق بقصة معروفة ، يكون التشديد بالتالي على ما أضافه يسوع ، أي على خاتمة المثل . لذا ينبغي التركيز ، هنا كما في سائر الأمثال الأخرى ذات المغزيين ، على المغزى الثاني .

ما يقصده إذاً يسوع في هذا المثل بالذات ليس اتخاذ موقف من قضية الأغنياء والفقراء (فقد أعلن هذا الموقف في مناسبات أخرى) (٣) ، أو إعطاء تعليم عن الحياة بعد الموت (فهو جد متكتم حول هذا الموضوع الذي يعجز النطق عن وصفه) ، إنما الإنذار بالكارثة العاجلة التي تهدد الناس الذين يشبهون إخوة هذا الغني . فلعازر الفقير ليس إذاً في هذا المثل سوى شخصية ثانوية تُستخدم كنقيض لإبراز الشخصيات الأخرى . بناء عليه فالأجدر ، كما يرى جارامياس ، أن يطلق على المثل المذكور ليس عنوان « الغني ولعازر » إنما عنوان « الاخوة الستة » .

فالاخوة الذين لا يزالون على قيد الحياة يشبهون الناس الذين كانوا عائشين في عهد الطوفان والذين كانوا يتمتعون بالحياة دون أن يشعروا بالخطر المحيق بهم أو يسمعوا الهدير المنذر بالكارثة . وعن هؤلاء وأولئك قال

الرب : « وكما حدث في عهد نوح ، فكذلك يحدث يوم مجيء إبن الإنسان . كان الناس ، في الأيام التي تقدمت الطوفان ، يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون بناتهم ، إلى يوم دخل نوح الفلك ، وما كانوا يتوقعون شيئاً ، حتى جاء الطوفان فجرفهم أجمعين ، كذلك يحدث عند مجيء إبن الإنسان » (متى ٢٤ : ٣٧ - ٣٩) . الاخوة الخمسة أناس غارقون في الاهتمامات الدنيوية كما كان أخوهم الراحل ، يعيشون كما عاش هو في أنانية تغلق قلوبهم دون الرأفة ويصمون آذانهم لكلمة الله ، معتقدين أن كل شيء ينتهي بالموت . إن مثل هؤلاء المتنعمين الشكاكين كانوا يسألون يسوع بهزء أن يعطيهم أولاً برهاناً حسّياً عن حقيقة الحياة بعد الموت ، كي يأخذوا إنذاره على محمل الجد . أمّا يسوع فإنه يريد أن يفتح عيونهم ، ولكنه يعلم أن ذلك لا يتم بالطريقة التي يرغبونها . فإن أعظم المعجزات لا تكفي للتغلب على قسوة القلوب ، وقد رأينا كيف أن إقامة لعازر ، عوض أن تهدي خصوم يسوع ، ثبتتهم في تحجرهم (راجع يوحنا ١١ : ٤٦ وما يليه) . فالمعجزة لا يمكنها أن تهدي من لا ينحني أمام كلمة الله . لذا فالمطالبة بآيات أي بخوارق مدهشة إنما هي ذريعة يستتر بها

الإنسان رفضه للتوبة . هذا ما أكده يسوع عندما « أقبل الفرّيسيون وأخـذوا يجادلونـه طالبـين آية من السماء ليجرّبوه . فتنهد من أعماق نفسه وقال : « مـا بال هذا الجيل يطلب آية ؟ الحق أقول لكم : لا يجعل لهذا الجيل آية ! » (مرقس ٨ : ١١ - ١٢) .

---

(١) راجع : Pierre Grelot: Le monde à venir, pp 42 et 50, Le Centurion, Paris, 1977.

(٢) راجع جورج خضر : الفقر والغنى في الكتاب المقدس وعند الأباء ، منشورات النور ، ١٩٨٢ .

(٣) راجع جورج خضر : المرجع نفسه .

مثل المدعو الذي لم يكن يرتدي ثياب العرس

(متى ٢٢ : ١١ - ١٣)

إن هذا المقطع وارد في إنجيل متى كجزء من مثل العشاء الكبير الذي سبق لنا شرحه. ولكن النقد النصّي، أي التحليل العلمي للنصوص، يظهر أنه لم يكن هكذا في الأصل. ولنا على ذلك دليلان:

* أولهما التناقض الواضح بين دعوة الملك الفجائية لكل من وجد في الشوارع والطرقات إلى العرس من جهة، وبين مطالبتهم بأن يكونوا مرتدين لباساً خاصاً من جهة أخرى. وقد حاول العديد من الشرّاح أن يحلّوا هذا

التناقض بالاستناد إلى عادة يشير إليها سفر الملوك الثاني (١٠ : ٢٢) كانت تقضي بأن يوزع على المدعوين إلى عرس لباس خاص . ولكن جارامياس يستبعد هذا التفسير لأن العادة المذكورة لم تعد متبعة في عهد يسوع .

* أمّا الدليل الثاني فهو كون لوقا يورد مثل العشاء دون هذا المقطع ، علماً بأن نص لوقا يبدو أقرب إلى الأصل ، كون صاحب الدعوة فيه رجلاً عادياً وليس ملكاً كما عند متى ، مما هو أدنى إلى القصة الأصلية ، قصة العشار بارمجان التي استخدمها يسوع .

لذا فالأرجح أن الآيات ١١ إلى ١٣ من الإصحاح ٢٢ من متى كانت تشكل في الأساس مثلاً خاصاً ، قد تكون بدايته في العدد ٢ : «مثل ملكوت السماوات كمثل ملك أولم في عرس ابنه . . . » ، أمّا صلبه فممتد من العدد ١١ إلى ١٣ . لكن متّى دمج هذا المثل بمثل العشاء الآخر ، مما أدى إلى تحويل صاحب الدعوة عنده إلى ملك .

العدد ١١ : «ودخل الملك لينظر المدعوين ، فرأى رجلاً ليس عليه بزّة العرس» .

«دخل الملك لينظر المدعوين» : لقد كان من باب الإمعان في التهذيب أن لا يأكل المضيف مع مدعوّيه في

الولائم الكبرى، بل أن يترك لهم المآكل ولا يظهر إلاّ في أثناء المأدبة.

«بزّة العرس»: ليس المقصود بهذه البزّة لباساً خاصاً لا يرتدى إلاّ في حالات إستثنائية، إنما يقصد بها فقط لباساً نظيفاً. وهذا ما يتضح إذا عَدنا إلى المقطعين التاليين من رؤ يا يوحنا:

رؤ يا ١٩: ٧ ـ ٨: «لأن عرس الحمل قد حان، وتزينت عروسه وخوّلت أن تلبس الكتان الأبيض الناصع».

رؤ يا ٢٢: ١٤: «طوبى للذين يغسلون حللهم فإنهم يتسلطون على شجرة الحياة، ويدخلون المدينة من الأبواب».

أمّا اللباس القذر فهو علامة إحتقار للمضيف.

العددان ١٢ و ١٣: فقال له: «يا صديقي، كيف دخلت إلى هنا، وليس عليك بزّة العرس؟» فأطرق. فقال الملك للخدم: «شدّوا يديه ورجليه، وألقوه في الظلمة البرّانية. فهناك البكاء وصريف الأسنان».

«يا صديقي»: لقد رأينا أن هذه العبارة لا ترد في العهد

الجديد إلاّ في معرض العتاب.

«كيف دخلت إلى هنا؟» : العبارة اليونانية المستعملة في النص تعني لا «بأية طريقة دخلت؟»، بل «بأي حق دخلت؟».

«أطرق»، أي سكت ولم يتكلم: ولذا فلا يسعنا أن نعرف لماذا لم يرتد هذا الرجل ثوباً لائقاً بالإحتفال. فهل يا ترى تسلل إلى غرفة الوليمة دون أن يكون له حق بذلك وإذ رأى أنه اكتشف لزم الصمت خجلاً؟ أم أن لباسه كان إهانة مقصودة لمضيفه وسكوته وقاحة؟

قد نجد الجواب عن تساؤلنا هذا في قصة مماثلة لهذا المثل يحتويها التلمود. فقد ورد فيه أن أحد اللاهوتيين اليهود، في نهاية القرن الأول للميلاد، رابّي اليعازر، كان يعلّم قائلاً: «تب يوماً قبل موتك». فسأله تلاميذه: «ولكن كيف يمكن للمرء أن يعرف يوم موته؟». أجابهم: «هذا مدعاة له لكي يتوب اليوم، لأنه قد يموت غداً. فإذا فعل هكذا، فأيّا كان الوقت الذي يأتي فيه الموت يجده تائباً». واستشهد لهم بسفر الجامعة القائل: «لتكن ثيابك بيضاء في كل حين ولا يعوز رأسك الدهن» (جامعة ٩ : ٨). ثم ذكر لهم هذا المثل الذي رواه الربّاني يوحنان بن

زكاي (حوالي ٨٠ للميلاد)، وهو قصة ملك دعا إلى وليمة دون أن يحدد ساعتها. فاستعد الحكماء لها، أمّا الأغبياء فذهبوا إلى أعمالهم. وفجأة دوّى النداء داعياً إلى الوليمة، فلم يستطع الدخول إليها من كان لباسهم قذراً.

وأضاف رابّي اليعازر: أن الثوب اللائق بالوليمة هو التوبة، فالبسه إذاً قبل فوات الأوان، «يوماً قبل الموت»، أي في هذا اليوم بالذات.

على ضوء هذا التعليم، يكون الجواب عن السؤال الذي طرحناه آنفاً هو: أن الرجل كان مدعواً ولكنه تصرف بغباوة ولم يستعد، ففاجأه النداء إلى وليمة العرس حين لم يكن ينتظره. وهكذا يكون هذا المثل أحد أمثال الإنذار بخطورة الساعة، وكأنه يقول: في كل لحظة يمكن أن يدوّي النداء! فالويل لمن لم يستعد!

إلاّ أن لبزّة العرس معنى آخر غير معنى التوبة، مع أنه مرتبط به. هذا المعنى له جذوره في العهد القديم، وهو برأي جاراماياس ما يقصده يسوع في هذا المثل لأنه ينسجم مع مجمل أقواله.

فقد ورد في أشعياء ٦١ : ١٠ (والإصحاح ٦١ من نبوءة أشعياء فصل يعلق عليه يسوع أهمية كبرى إذ

يستند إليه في عدة مناسبات : راجع متى ٥ : ٣ ، متى ١١ : ٥ ، لوقا ٧ : ٢٢ ، لوقا ٤ : ١٨) ما يلي :

«إني أسر سروراً بالرب وتبتهج نفسي في إلهي لأنه ألبسني ثياب الخلاص وشملني بـرداء البرّ كالعروس التي تتحلّى بزينتها» .

هكذا فالثوب إنما هو ثوب الخلاص البهيّ الذي يلبسه الله للمخلّصين .

كذلك فالأدب الرؤ يوي اليهودي كثيراً ما يتحدث عن ثوب كهذا . فكتاب أخنوخ مثلاً (الذي سبق أن أشرنا إليه) يصف بالعبارات التالية ثوب المجد الذي سوف يلبسه «الأبرار والمختارون» :

«سيكون هذا ثوبكم ، **ثوب حياة** عند رب الأرواح .

إن ثيابكم لن تشيخ

ومجدكم لن يزول أمام رب الأرواح» .

وفي رؤ يا يوحنا حديث متواصل عن الثوب الأخروي الذي تصفه الرؤ يا على أنه ثوب أبيض مقدم من الله . مثلاً :

«على أن بعض الناس عندك في سرديس لم يدنّسوا

ثيابهم ، فهم أهل لان يواكبوني بالملابس البيض . **سيلبس الغالب ثوباً أبيض** (. . .) أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مخلّصاً بالنار لتغتني ، وثياباً بيضاً تلبسها فلا يبدو خزي عريتك » (رؤيا ٣ : ٤ و ٥ و ١٨) .

هكذا يتضح من كل هذه المقاطع أن الثوب الذي نتحدث عنه، ثوب الحياة والمجد الذي لن يفنى ولن يشيخ، إنما هو صورة للتبرير الذي يهبه الله، وإن ارتداء هذا الثوب يرمز إلى الانتماء إلى جماعة المخلَّصين . ومن جهة أخرى فقد رأينا يسوع يشبّه الغفران بثوب الشرف الذي يلبسه الأب لابنه الضال العائد إليه (لوقا ١٥ : ٢٢) .

هكذا يكون معنى المثل : أن الله يقدّم لك ثوب الغفران والتبرير . فعجِّل وارتده منذ اليوم ، بالإيمان والتوبة ، قبل فوات الأوان .

مثل العذارى العاقلات والعذارى الجاهلات

(متى ٥): ١٠ ـ ١٣)

كمثل بزّة العرس ، هكذا فالمصباح المضاء الـذي به يُستقبل العروس الآتي فجأة في نصف الليل ، صورة عن الزمـن الماسيانـي وعـن الانتماء الى الجماعـة المخلّصـة . فالـويل لمن ينطفـىء مصباحـه . تلك هي رسالـة مثـل العذارى العاقلات والعذارى الجاهلات .

ان هذا المثل يتحدث عن عرس حقيقي يتخذه يسوع نموذجاً كما يتخذ سائر نماذجه من واقع الحياة ليوقظ سامعيه ويدعوهم الى تحديد موقفهم بسرعـة من الصراع الـذي سوف يحتدم بين ملكوت اللـه وقـوى الظلمـة . ويفنّـد جاراميـاس الرأي القائل بأن القصـة محض رمـزية اذ لا نجد ما يوازيها في الكتابات اليهودية المعاصرة للمسيح من حيث بدء العرس في ساعة متأخـرة من الليل واستقبـال العروس بالمصابيح وتأخر العروس الذي لا يقبل ألاّ في

منتصف الليل . يقـول جاراميـاس بأن هذه الحجـة ضد واقعية القصة غير مقنعة ، مستنداً الى ما يلي :

*ليس لدينا في الكتابات اليهودية وصف كامل لعرس في عهد يسوع يمكن مقارنة المثل به . كل ما لدينا بهـذا الصدد معلومات متناثـرة جمعهـا المحدثـون استنـاداً الى الكتابـات اليهـودية القديمـة . لكن هذه التجميعـات اسقطت عدة تفاصيل ، منها موكب العرس الذي يذهب حاملا المصابيح لاستقبال العروس ، ومنها احتمال تأخـر هذا الاخير . فعن الامر الاول نجد إشارة في شرح يهودي لسفر الخروج . كما ان هناك أدلة على ان مجيء العروس كان يحصل في حالات نادرة في ساعة متأخرة من الليل ، وذلك عندما كان يطول النقاش حول عقد الزواج قبـل توقيعـه . هكذا فالموكب الذاهـب بالمصـابيح لاستقبـال العروس وتأخـر العـروس عن المجـيء ليسـا من صنـع الخيال ، إنمـا هما عنصران مستمـدان من واقـع الحياة عينه .

*وتؤكد هذه المعلومات القديمـة العوائـد المتبعـة في الاعراس في فلسطين في عصرنا . ولنـا في وصفهـا عدة روايات تختلف تفاصيلها باختلاف القـرى التـي يجـري الاحتفال فيها ولكنها تتفق تقريباً كلهـا على ان دخـول

العروس الى المنزل الأبـوي في ساعـة متأخـرة من الليل يشكل قمة العرس وخاتمته . وهنـا يستشهـد جاراماس بكاتبين كثيرَي الاطلاع على العوائد الفلسطينية ، وهما كلاين Klein(١٨٨٣) وبووير Bauer (١٩٠٣) في وصفهما للاعـراس القـروية ، حيث يظهـران الـرقص وسائر انواع التسلية كانت تشغل النهار كله ومن ثم تقام وليمة العرس عند هبوط الليل. بعد ذلك يؤ تى بالعروس الى بيت خطيبها على ضوء المشاعـل . ثم يأتي رسـول فيعلن مجيء الخطيب الذي كان قد اضطر أن يبقى حتى ذلك الحين خارج المنزل . عند ذاك تترك النساء العروس وحدها ويذهبن بمشاعل للقاء العروس المقبل على رأس موكب مؤلف من أصدقائـه . ويضيف جاراماس بأن الروايات الحديثة عن الأعراس العربية في فلسطين تذكر أيضاً أنه كثيراً ما ينتظر مجيء العروس مدة ساعات بكاملها . ويعزى هذا التأخر دائماً الى صعوبة الاتفاق على الهدايا التي يطالب بها أقـارب الخطيبـة ، إذ يعتبـر هؤلاء أنه يتوجب عليهـم ان يساومـوا بشـدة على تلك الهدايا لئلا يُتهموا باللامبالاة تجاه الخطيبة وبالانتقاص من قيمتها ، كما أنهم بمساومتهم هذه يعبّرون عن تقديرهم للخطيب كونهم يقدمون له فتاة ثمينة بأعينهم لا يتخلون عنها إلا على مضض .

خلاصة القول أنه يستحيل اعتبار هذا المثل - كما اعتبره بعض الشرّاح - على أنه لا يمتّ بصلة الى الواقع والى الارض ، فهو بالعكس مستمد من صميم الواقع .

العددان ١ و ٢ : « **ومثل ملكوت السماوات كمثل عشر عذارى حملن مصابيحهن وخرجن للقاء العروس ، خمس منهن جاهلات ، وخمس عاقلات** » .

هذه هي الترجمة الصحيحة وليس تلك التي ألفناها : « يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى» . فإن ملكوت الله يشبَّه هنا لا بالعذارى بل بالعرس .

العدد ٣ : « **فحملت الجاهلات مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتاً** » .

فهل ، يا ترى ، نسين ، في تسرعهن ، أن يأخذن معهن وعاء الزيت ؟ إن اللقب الذي يطلق عليهن ، وهو « الجاهلات» (ومعناه الطائشات) يوحي بتفسير آخر : فقد كن قليلات التبصر الى حد انهن لم يفطنَّ الى أن العروس قد يتأخر وأنهن بالتالي قد يحتجن الى مزيد من الزيت ليملأن به مصابيحهن بعد نفاد الزيت منها .

العدد ٤ : « **وأمّا العاقلات ، فأخذن مع مصابيحهن زيتاً في آنية**» .

هـذه « الأنية» (في اليونـانية angeia) عبـارة عن أباريق صغيرة لها عروة .

العدد ٥ : « **وأبطأ العروس ، فنعسن جميعاً ونمن**» .

« **أبطأ العروس**» : لقد ذكرنا آنفاً السبب الذي كان يحصل من أجله هذا الابطاء . « **فنعسن جميعاً ونمن**» : لقد تركن المصابيح مضاءة أثناء رقادهن لأنهن توقعن ألا يكون لديهن الوقت الكافي لاشعالهن من جديد عند مجيء العروس المباغت . وهذا ما يفسر ما ورد في العدد ٨ : « **فإن مصابيحنا تنطفيء** » . ذلك أن الزيت قد احترق كله في فترة نومهن .

العـددان ٦ و ٧ : « **ومـا انتصف الليل ، حتـى علا الصياح : « هوذا العروس ! فأخرجن للقائه !» فهـبّ أولئك العذارى جميعاً وهيأن مصابيحهن**» .

« **هيأن مصابيحهن**» : أي أنهن انتزعـن منهـا قطـع الفتيل التي تفحمت ، والعاقلات زدن عليها زيتاً ليقوى نورها .

الأعـداد ٨ ـ ١٣ : « **فقالـت الجاهـلات للعاقلات : « أعطيننـا من زيتـكن ، فإن مصابيحنـا تنطفيء» . فأجابت العاقلات : « لعله غير كاف لنـا**

ولكنّ ، فالاولى أن تذهبن الى الباعـة وتبتعـن لكنّ» . وبينما هن ذاهبات ليبتعن ، وصل العروس فدخلت معه المستعدات الى ردهة العرس واغلق الباب . ثم جاءت العذارى فقلن : « ربنا ، ربنا ، إفتح لنا» . فأجاب : « الحق أقول لكن : إني لا أعرفكن ! » فاسهروا إذاً ، فإنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة» .

« إني لا أعرفكن !» : هذه العبارة كانت تلك التي يخاطب بها معلّم تلميذاً اذا أراد أن يمنعه من كل اتصال به طيلة سبعة أيام . وتعني :« لا أريد أن تكون أية صلـة بيني وبينـكن» . وبمقدورنـا أن نفهـم شدة وقـع هذه العبارة على « العذارى الجاهلات» إذا تصورنا أنهن كن كما يبدو خادمات في بيت أهل العروس الذي قاطعهـن على هذا المنوال .

إن هذا المثل هو إذاً أحد الأمثال التي تشير الى خطورة الساعة وضرورة الاسراع في اتخاذ موقف حاسم . فقـد أقبل يوم العرس ، وأعدّت الوليمـة ، كما يشـير كتـاب الرؤ يا قائلا : « هللويا ! لأن الـرب الالـه القـدير قد ملك الملك . لنفرح ونبتهج ! ولنمجد اللـه لأن عرس الحمل قد حان (. . . .) ثم قال لي الملاك : « أكتب : طوبـى للمدعـوين الى وليمـة عرس الحمـــل» (رؤ يا

١٩ : ٦ و ٧ و ٩) . لقد أقبل الملكوت الى العالم ، ذلك الملكوت الذي يشبّه هنا بعرس(فالاتحاد الزوجي هو أفضل صورة وجدها الوحي الالهي ، منذ العهد القديم(هوشع ، أشعياء ، أرميا ، حزقيال ، نشيد الانشاد) ، للتعبير عن اتحاد الله بالبشر) . لذا فقد حان وقت الاستعداد لساعة الامتحان حيث ينشب الصراع بينه وبين قوى الظلمة المتألبة على النور .

تلك الساعة ستأتي فجأة كما يقبل العروس فجأة في الليل . فالويل للذين يشبهون تلك العذارى اللواتي بقي باب البيت موصداً أمامهن لأن مصابيحهن انطفأت !

إن صورة الباب الموصد نجدها أيضاً في مقطع من لوقا (١٣ : ٢٤ -٣٠) توازي خاتمته خاتمة المثل الذي نحن بصدده :

« فقال لهم : « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيّق . أقول لكم : أن كثيراً من الناس سيحاولون الدخول فلا يستطيعون . وإذا قام رب البيت وأقفل الباب ، فوقفتم في الخارج وأخذتم تقرعون الباب وتقولون : ربنا ، إفتح لنا ! يجيبكم : لا أعرف من أين

أنتم . فتقولون حينئذ : لقد أكلنا وشربنا معك ، ولقد علّمت في ساحاتنا . فيقول لكم : لا أعرف من أين أنتم . إليكم عني بأجمعكم أيها الفاسقون ! فهناك البكاء وصريف الاسنان ، اذ ترون في ملكوت الله ابراهيم واسحق ويعقوب وجميع الانبياء ، وترون أنفسكم في الخارج مطرودين . وسوف يأتي الناس من المشرق والمغرب ومن الشمال والجنوب ، فيجلسون على المائدة في ملكوت الله . فيصير من الأخرين أولون ، ومن الاولين آخرون» .

هنا نرى ان الذين يقرعون لا ينتفعون من تذكيرهم بأنهم كانوا على صلة بيسوع (كما أن صلة العذارى الجاهلات السابقة بالعروس ، وهن من بيته ، لم تفدهن بشيء) . فإن أعمالهم الشريرة تجعل هذه الصلة دون جدوى (لوقا ١٣ : ٢٧) لأنها تبرهن بأن اهتداءهم لم يكن أصيلا . فالاهتداء الحقيقي كما يفهمه يسوع هو بتجدد الحياة ، وهذا ما يقودنا الى الفئة الرابعة من الأمثال ، وهي تشمل الأمثال التي تعلّم كيف ينبغي لمن تتلمذ ليسوع أن يحيا .

الأمثال التي توضح كيف ينبغي أن يحيا من تتلمذ ليسوع

مقدمة

قلنا إن الاهتداء الحقيقي ، كما يفهمه يسوع ، هو في تجدد الحياة . ولهذا التجدد تعابير مختلفة توضحها الامثال التي نحن الآن بصددها . فمنها العطاء النابع من فرح الانسان المأخوذ باكتشاف ملكوت الله (مثل الكنز في الحقل ومثل اللؤلؤة) ، ومنها المحبة الفاعلة لكل انسان ، أياً كان ، محتاج الى معونتنا (مثل السامري الشفوق) ، والغفران الذي يجعل الانسان متشبهاً برحمة الله(مثل المدين عديم الشفقة)

مثل الكنز في الحقل ومثل اللؤلؤة

(متى ١٣ : ٤٤ ـ ٤٦)

هذان المثلان قريبان جداً أحدهما من الآخر وقد دمجا بحيث يقوم تضاد بين بطل المثل الأول ، وهو فقير ، وبطل المثل الثاني ، وهو غني .

أ ـ مثل الكنز في الحقل

العدد ٤٤ : **« مثل ملكوت السماوات كمثل كنز دفين في حقل وجده رجل فخبأه ثم مضى فرحاً فباع جميع ما يملكه واشترى ذلك الحقل »** .

« الكنز الدفين» الذي يتحدث عنه يسوع هو على الأرجح جرّة تحوي قطعاً نقدية أو حجارة كريمة . إن اكتشاف مثل هذه « الكنوز» لم يكن غريباً عن الواقع الفلسطيني الذي استقى الرب منه أمثاله . ذلك أنه بسبب الحروب الكثيرة التي كانت فلسطين مسرحاً لها بمرّ الأجيال بداعي موقعها الجغرافي المتوسط بين مصر وما بين النهرين ، كان الناس مضطرين باستمرار الى طمر أشيائهم الثمينة في الأرض حفاظاً عليها من أخطار الحرب. ومن جهة أخرى فقد كانت الكنوز المخبأة أحد

المواضيع المفضلة في الفولكلور الشرقي والمألوفة بالتالي لدى مستمعي يسوع .

أمّا مكتشف الكنز ، فهو ، على ما يبدو ، عامل مياوم فقير كان يفلح حقل غيره ، فخفس ثوره في الأرض عند حفرة مطمورة فوجد الكنز على تلك الصورة .

عبارة « خبّأه» ترجمة حرفية للكلمة اليونانية Ékrupsén . ولكن المقصود طبعاً أنه أعاد تخبئته ، أعاد إخفاءه . ولكن العبارة اليونانية نقلت هنا عبارة آرامية تناسب فعلنا « خبّأ» ، ذلك أنه ليس في اللغات السامية من كلمات مركبة كتلك التي توجد في لغات أخرى ، لذا لا تستطيع هذه اللغات أن تعطي الفعل صيغة تفيد التكرار على نحو recacher باللغة الفرنسية . ما فعله إذاً مكتشف الكنز هو أنه أعاد طمره في الأرض ، وبذلك كان يستهدف غايتين :

* فمن جهة يبقى الكنز على هذه الصورة جزءاً لا يتجزأ من الحقل ، بحيث يشتريه بمجرد شرائه الحقل .

* ومن جهة أخرى ، يبقى الكنز هكذا في أمان . ذلك ان طمر الشيء في الأرض كان يعتبر أفضل وقاية

ضد السارقين ، حتى أن الشرع اليهودي المعمول به بموجب اجتهادات الربّانيين كان يعتبر من استلم وديعة أو رهناً وطمره في الأرض معتقاً من كل مسؤ ولية مدنية اذا فقد هذا الرهن او تلك الوديعة (تلمود بابل) ، وبالعكس فمن لفّ المال في قطعة من قماش كان يعتبر مسؤ ولا مدنياً عن فقده بسبب عدم كفاية الاحتياطات المتخذة (المرجع نفسه) .

إن يسوع لا يتعرض هنا للناحية الحقوقية فيما يختص بعمل هذا الانسان ، أي أنه لا يبحث فيما إذا كان يحق له ان يتصرف كما فعل . جلّ ما أراده هو ان يشير الى سلوك الانسان العادي في ظرف كهذا . إلاّ أنه يجدر الذكر بأن الرجل لم يمض فوراً بما وجده انما فضّل ان يتصرف بموجب الاساليب الشرعية من حيث شراء الحقل على الأقلّ .

ب ـ مثل اللؤلؤة

العددان ٤٥ ـ ٤٦ : « ومثل ملكوت السماوات كمثل تاجر كان يطلب اللؤلؤ الكريم ، فوجد لؤلؤة ثمينة ، فمضى وباع جميع ما يملك واشتراها» .

العبـارة اليونـانية التـي ترجمـت هنـا « بتاجــر» هي emporos وتشير الى تاجر بالجملة يقوم بأسفار لأغراض تجارته .

« كان يطلب اللؤلؤ الكريم» : في العالـم القـديم كلـه ، كانـت الــلآلىء بضاعــة مرغوبــة جداً : كان الغطاسون يصطادونها في البحر الأحمر والخليج الفارسي والاوقيانوس الهندي ، وكانـت في الغالـب ترصف بعـد ذلك في عقود . وقد ورد في التاريخ القـديم ذكر لآلىء كانت تساوي الملايين . فيوليوس قيصر مثلا أهـدى والدة بروتوس لؤلؤة كانت تساوي ستة ملايين سسترس (وهو مبلغ بالعملة الرومانية القديمة يعادل اليوم مليون ونصف فرنكاً فرنسياً) ، ويقال ان كليوباتره كانت تملك لؤلؤة تقدّر بمائـة مليون سسترس (أي ما يعـادل ٢٥ مليون فرنك فرنسي) .

في كلا المثلــين نجــد بداية مواضيع كان يهواهــا القصاصون الشرقيون . لذا كان ينتظـر المستمعـون الى مثل الكنز في الحقل أن يحدثهم يسوع على غرار هؤلاء القصاصين فيصف لهم مثـلا القصر البـديع الـذي بنـاه مكتشف الكنز ، وكذلك المستمعـون الى مثـل اللؤلـؤة

كانوا يتوقعون ان يسمعوا مثلا كيف أن هذه اللؤلؤة تسببت في إنقاذ حياة التاجر عندما هاجمه لصوص . ولكن يسوع ، على عادته عندما كان يستند الى قصص معروفة ، يفاجىء سامعيه بتأكيده على غير ما كانوا ينتظرونه . ولكن على ما يؤكد ؟

لقد فُهم عادة هذان المثلان كما لو كان يسوع يتحدث فيهما عن وجوب البذل دون حساب . ولكن ، على حد تعبير أحد الشرّاح ، « لا يفقه شيئاً من هذين المثلين من يرى فيهما قبل كل شيء مطالبة بعمل بطولي» . على العكس ، فإن العبارة الحاسمة فيهما هي « فرحاً» (١٣ : ٤٤) ، وقد وردت في النص الأصلي بصيغة تفيد أنه كان في نشوة من الفرح . إننا نجد هذه العبارة في معرض الحديث عن مكتشف الحقل ولكنها تنطبق طبعاً على التاجر ايضاً . إنها المفتاح الذي به نلج الى ما عناه الرب يسوع من خلال هذين المثلين . وعليه يكون المقصود بهما هو الأتي :

عندما ينقضّ فرح عارم ، يفوق كل قياس ،على إنسان ، فهو يهزّه في الأعماق ويفقده رشده . كل شيء يخبو عند ذلك في نظر هذا الانسان امام تألق ما اكتشفه ،

واذا به يتخلّى عفوياً ، بغية الحصول عليه ، عن أثمن ما لديه . ليست إذاً تضحية الرجلين بأملاكهما محور المثل المزدوج ، إنما محوره هو السبب الذي دفعهما إلى الإقدام على مثل هذه التضحية ، ألا وهو ان ما اكتشفاه اخذ بمجامع نفسيهما . هذا هو شأن ملكوت الله : فإن البشارة به تأخذ بمجامع النفس وتثير فرحاً عظيماً وتجعل الوجود كله مستقطباً بهدف تحقيق الشركة مع الله وتدفع الانسان الى إسلام ذاته بأكثر ما يمكن من الاندفاع . مجمل الكلام أنه إذا أخذت بشرى الملكوت بمجامع نفس إنسان ما ، صغر كلّ شيء بنظره أمام هذه القيمة التي تفوق كلّ ما سواها .

مثل السامري الشفوق

(لوقا ١٠ : ٢٥ ـ ٣٧)

هؤلاء الناس الذين تملّكهم فرح كذاك الذي أشار إليه مثلا الكنز في الحقل واللؤلؤة ، كيف تصبح حياتهم ؟ إنهم يتبعون يسوع ولذا فلا بدّ أن تتميّز حياتهم أولا بهذه المحبة التي يقدّم لهم « المعلّم ـ الخادم» قدوتها (راجع لوقا ٢٢ : ٢٧ ؛ مرقس ١٠ : ٤٥ ؛ يوحنا ١٣ : ١٥ وما يليه) . هذه المحبة تعرف أن تتفانى بصمت ، دون أن تبوّق بالبوق (متى ٦ : ٢) . إنها لا تجمع لها كنوزاً على الأرض بل تودع خيراتها بين يدي الله الأمنتين (متى ٦ : ١٩ ـ ٢١) . إنها أيضاً محبة لا تعرف الحدود ، كتلك التي يصفها مثل السامري الشفوق .

الأعداد ٢٥ ـ ٢٨ : « وإذا أحد علماء الشريعة قد قام فقال ليحرجه : « يا معلّم ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ » فقال له : « ماذا كتب في الشريعة ؟ وماذا تقرأ فيها ؟» فأجاب : « أحبب الله ربّك بجميع قلبك ، وجميع نفسك ، وجميع قدرتك ، وجميع ذهنك ، وأحبب قريبك حبّك لنفسك» . فقال له : « بالصواب أجبت . إعمل هذا تحيَ » .

إن جواب عالم الشريعة عن سؤال يسوع يُستدل منه أن هذا الانسان كان قد سبق له أن استمع الى تعليم يسوع حول أعظم وصيّة (راجع مرقس ١٢ : ٢٨ ـ ٣٤ ، ومتى ٢٤ : ٣٤ ـ ٤٠) ، هذا التعليم الذي محور يسوع بموجبه الشريعة والانبياء حول وصيتين ، الاولى ، وهي المتعلقة بمحبة الله ، وردت في تثنية الاشتراع ٦ : ٥ ، والثانية وهي المتعلقة بمحبة القريب ، وقد جعلها يسوع في مصف الاولى قائلا أنها «مثلها» (متى ٢٢ : ٣٩) وردت في لاويين ١٩ : ١٨ . نرى عالم الشريعة يردد هنا هذا التعليم عينه ، مما يشير الى أنه كان يعرفه . لذا فعبارة «أراد أن يزكّي نفسه» الواردة في العدد ٢٩ تعني أنه شاء أن يبرر طرحه هذا السؤال على يسوع مع أنه كان يعرف وجهة نظره .

العدد ٢٥ : لقد كان أمراً غير عادي ـ كما هي الحال اليوم أيضاً ـ أن يتوّجه لاهوتي الى غير لاهوتي ليسأله عن طريق الحياة الابدية . ولكن يبدو ان بشارة يسوع كانت قد أقلقت وجدان هذا اللاهوتي كما يشير جاراmياس .

لذا فلعلّه كان يبدي ، من خلال طرحه هذا السؤال لا مجرد رغبة في إحراج يسوع باستدراجه الى إبداء رأي في موضوع كان يجري حوله نقاش حاد بين اللاهوتيين ، بل شوقاً الى معرفة الحقيقة أيضاً .

العدد ٢٨ « **اعمل هذا تحيَ** » : جواب يسوع مدهش لأنه لم يذكر فيه بين شروط الحياة الأبدية اكتساب المعارف الدينية التي كان اللاهوتيون ـ ولا يزالون ـ يولونها أكبر اهتمام ، إنما حدد السلوك البشري على انه طريق الحياة الابدية . وكأنه يقول : كل المعرفة اللاهوتية لا تفيد شيئاً إن لم تكن الحياة موجهة وفقاً لمحبة الله والقريب .

العدد ٢٩ : « **فأراد أن يزكّي نفسه فقال ليسوع : « ومن قريبي ؟ »** »

هذا السؤال الذي يواجه به عالم الشريعة يسوع « ومن قريبي ؟» ، كان له ما يبرره ، لأنه كان موضوع

نقاش واسع بين اليهود في ذلك الحين . فالكل كانوا متفقين على أن هذه العبارة ، عبارة « قريب» ، كانت تشمل اليهود والدخلاء (أي الوثنيين المعتنقين الايمان اليهودي) ، ولكن الخلاف كان قائماً حول من يستثنى منها من هؤلاء . فالفرّيسيون كانوا يميلون الى إقصاء غير الفرّيسيين ، والآسانيون كانوا يزعمون انه ينبغي للبارّ أن يكره كل « أولاد الظلمة» ؛ وكان بعض الربّانيين يصرّحون أنه « يجب ان يُدفع (الى الحفرة) » كل الهراطقة والمرتدّين ، وألاّ يُنتشلوا منها . بالاضافة الى ذلك كان مثل شعبي شائع جداً يستثني العدو الشخصيّ من وصيّة المحبة ، والى هذا المثل يلمّح يسوع في آية من موعظته على الجبل يشير فيها الى هذا التفسير الشعبيّ لوصية الله فيقول ما يمكن ترجمته بشكل دقيق على الوجه التالي : « سمعتم أنه قيل (أي ان الله قال ، فصيغة المجهول تورية ، كما رأينا ، كان يشار بها الى الله) : « أحبب قريبك» ، ولكن لا شيء يلزمك بأن تحب عدوك» (متى ٥ : ٤٣) . فالمطلوب إذاً من يسوع ان يرسم حدود المحبة ضمن دائرة الشعب اليهودي والمنتسبين الى مذهبه الديني . وكأن عالم الشريعة يسأله : أين يقف واجب المحبة الذي يربطني بأبناء

أمتي ؟

العدد ٣٠ : « فأجاب يسوع « كان بعضهم نازلا من اورشليم الى أريحا ، فوقع بأيدي اللصوص . فعرّوه وانهالوا عليه بالضرب ، ثم مضوا وقد تركوه بين حيّ وميت» .

قد تكون القصة التي رواها يسوع إجابة عن السؤال مستوحاة من حادث حقيقي . فالطريق بين أورشليم وأريحا كانت مشهورة بهجمات اللصوص التي كانت تحصل عليها . هذه الطريق تمتد على مسافة ٢٧ كلم وتنحدر بشكل سريع من ارتفاع أكثر من ألف متر مارة بصحراء مخيفة تتراكم فيها الصخور بشكل فوضوي وتمتد عليها طبقة جيولوجية طويلة من المنغنيز بلون الدم .

« انهالوا عليه بالضرب» : إن الجراح التي أصيب بها الرجل والمشار إليها في العدد ٣٤ تحمل على الاعتقاد بأن الضحية حاولت أن تدافع عن نفسها .

العددان ٣١ و ٣٢ : « فاتفق أن أحد الكهنة كان نازلا ، فمرّ من ذلك الطريق ، فرآه فمال عنه ومضى . وكذلك جاز لاويّ في ذلك المكان ، فرآه فمال عنه

ومضى» .

الكاهن واللاوي ـ وهذا الاخير خادم للهيكل ومساعد للكاهن ـ أهملا إسعاف الجريح . فكيف يفسَّر سلوكهما اللا إنساني هذا ؟

لقد كان سفر اللاويين (٢١ : ١ وما يليه) يحرّم على الكاهن لمس جثة (ما عدا جثة أقرب أقاربه) في أي وقت كان لئلا يتنجس . وقد يكون كاهن المثل ، عندما رأى هذا الرجل فاقد الوعي و « بين حيّ وميت» (العدد ٣٠) ، اعتقده ميتاً ، فلم يلمسه لئلا يلحقه دنس .

إلاّ أن التفسير لا ينطبق على اللاويّ . ذلك أنه لم يكن يفرض على هذا الاخير أن يحترز من « النجاسة» إلاّ إذا كان مزمعاً ان يقوم بخدمة في الهيكل . ولكن إذا كان اللاوي « نازلا» من أورشليم الى أريحا كما قيل عن الكاهن (العدد ٣١) ، فمعنى ذلك أنه كان قد أنهى خدمته في الهيكل وبالتالي لم يكن ما يمنعه من لمس ميت على الطريق . فإذا كان امتناعه عن لمس الجريح عائداً لأسباب طقسية ، وجب علينا ان نفترض أنه ، خلافاً للكاهن ، لم يكن نازلا من اورشليم بل كان صاعداً إليها ليقوم بخدمته في الهيكل . إن العدد ٣٤ الذي ورد فيه « جاز لاوي في ذلك المكان» ، دون مزيد من

الايضاح ، لا ينفي هذا الاحتمال ، ولكننا نصطدم هنا بعقبة جديدة ، ألا وهى أن فرق الكهنة واللاويين التي كانت تصعد كل اسبوع الى أورشليم لتسلُّم خدمتها في الهيكل كان من عادتها أن تذهب إليها جماعياً وليس بشكل إفرادي .

مهما يكن من أمر ، فإن الكاهن واللاوي قد سلكا تجاه الجريح سلوكاً يتنافى مع المحبة ، حتى إذا كان حرصهما على المراسيم الطقسية قد أملى عليهما مثل هذا السلوك ، فيكونان في تلك الحال قد فضّلا حرف الناموس على جوهره الذي هو محبة الله والانسان الآخر .

العدد ٢٣ : **« ثم مرّ به سامري مسافر ، فرآه فأشفق عليه»** .

إن القصص الشعبية التي يتّبع يسوع نمطها في سرده هذا المثل ، كثيراً ما تكون مبنية بموجب « القاعدة الثلاثية» (ثلاث شخصيات ، ثلاثة أحداث) . لذا فإن مستمعي يسوع كانوا ينتظرون منه أن يقدم لهم ، بعد الكاهن واللاوي ، شخصاً ثالثاً يكون على الارجح علمانياً إسرائيلياً ، وقد أخذوا يتوقعون بالتالي أن يكون للمثل مغزى معاد للاكليريكية . وإذا بهم يفاجأون بالكلية ويُصدمون عندما يتضح لهم ان الشخص

الثالث ـ ذاك الذي سوف يتمم وصية المحبة التي أهملها الاوّلان ـ إنما هو سامري .

فالخلاف بين اليهود والسامريين كان قد تحوّل منذ زمن بعيد الى عداء مستحكم . جذور هذا العداء تعود الى السنة ٩٣٥ قبل الميلاد ، حالا بعد موت سليمان . فقد بقي عند ذاك سبط يهوذا أميناً لرحبعام ، إبن سليمان ، وشكّل في جنوب البلاد مملكة صغيرة عاصمتها أورشليم ، دعيت « مملكة يهوذا » ، بينما انشقت معظم الاسباط الأخرى واتحدت في مملكة منافسة ، في الشمال ، سمّيت « مملكة إسرائيل » . وقد شاء أحد ملوك هذه المملكة ، عمري ، أن يبني عاصمة جديدة تنافس أورشليم ، فاختار السامرة لهذا الغرض . إلاّ ان الاشوريين دمّروا هذه المدينة سنة ٧٢٢ ق . م . ، وسبوا العديد من سكان مملكة إسرائيل واستبدلوهم بمزيج من الشعوب استقدموها من سائر أنحاء امبراطوريتهم . فكان من جراء ذلك ان اختلط الجنس اليهودي في تلك المنطقة بأجناس غريبة ، وكذلك اختلطت عبادة الاله الواحد بعشرين مذهباً وثنياً . لذا صار اليهود يرفضون كل اتصال بهذه الجماعة الهجينة معتبرين اياها وثنية أو أسوأ من ذلك . أمّا السامريون

فقد ردّوا على احتقار اليهود لهم بالتآمر عليهم . ثم اتى كاهن يهودي منشق من أورشليم الى السامرة وأسّس على جبل جرزيم هيكلاً منافساً لهيكل أورشليم . وقد تطوّر الصراع بشكل خطير إثر حادث جرى بين السنة ٦ والسنة ٩ للميلاد ، إذ دنّس السامريون ، كما يروي المؤرخ يوسيفوس ، هيكل أورشليم بإلقائهم فيه ، نحو منتصف الليل ، أثناء أعياد الفصح ، عظاماً بشرية . إذ ذاك بلغ العداء بين الشعبين ذروته . ومن ظواهره أن السامريين كانوا يتجمعون على الطرقات ليشتموا الحجاج اليهود الذين كانوا يجتازون منطقتهم متجهين الى أورشليم للاحتفال بالاعياد، وقد رفضوا مرة ان يقبلوا يسوع في إحدى قراهم لأنه كان متّجها الى أورشليم (لوقا ٩ : ٥٢) . أمّا اليهود فكان احتقارهم للسامريين قد بلغ الى حد أن الربّانيين منهم كانوا يقولون: «إن ماء السامريين لأنجس من دم الخنزير نفسه».

من الواضح إذاً أن يسوع تعمّد اختيار مثل يبلغ فيه التناقض أقصاه : فمن جهة يحجم خادما الله عن مساعدة جريح من شعبهما ، ومن جهة أخرى يتفانى في خدمة هذا الجريح إنسان غريب الجنس والدين ومكروه من اليهود ، وقد شاء أن يوضح بهذا الاسلوب الطابع

المطلق واللامحدود لوصيّة المحبة .

العدد ٣٤ : « فمال إليه فضمد جراحه ، وصبّ عليها زيتاً وخمراً ، ثم حمله على مطيّته وجاء به الى فندق واعتنى بأمره» .

« ضمد جراحه» : أمر قليل الاحتمال أن يكون السامري حاملا معه ضمادات جاهزة . إنما الارجح أنه مزّق كوفيته أو قميصه الداخلي ليضمد بقطعهما الجريح .

« صبّ عليها زيتاً وخمراً» : ذلك أن الخمر يطهّر الجرح ، أمّا الزيت فيليّن ويخفف الالم (راجع أشعياء ١ : ٦ : « من أخمص القدم الى الرأس لاصحة بل فيه كلوم ورضوض وجراحة طريئة لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بزيت ») .

« حمله على مطيّته» : ورد في النص اليوناني الأصلي : Epi to idion Ktènos (وترجمته الحرفية :«على مطيّته الخاصة»). وقد يفهم من استعمال النعت idios هذا (بينما كان ممكناً أن تستعمل عبارة éautou فيصبح المعنى : « على مطيّته» ، ليس إلاّ) ، إنّ ساميّ المثل كان تاجراً يركب حماراً أو بغلا ويقود وراءه دابّة أخرى تحمل بضائعه .

العدد ٣٥ : « وفي الغد أخرج دينارين ، ودفعهما الى صاحب الفندق وقال : « إعتن بأمره ، ومهما انفقت زيادة على ذلك ، أؤدّيه أنا إليك عند عودتي» .

يبدو من هذا المقطع أن لهذا المسافر معرفة سابقة بصاحب الفندق . هذا ، الى جانب أنبائه هذا الاخير بعودته القريبة ، يؤكد الافتراض المشار اليه أعلاه بأن هذا الرجل كان يحترف التجارة ، كما انه يشير الى انه كان يتردد على هذه الطريق . ويرجح جاراميياس ان هذا المسافر كان قاصداً منطقة شرق الأردن لغرض تجارته .

« أخرج دينارين» : يمكن تصوّر القوة الشرائية لهذا المبلغ اذا عرفنا أن ثمن الخبز الذي يحتاج اليه الفرد ليوم واحد كان في ذلك الحين جزءًا من إثني عشر من الدينار .

العددان ٣٦ و ٣٧ : « فمن كان في رأيك ، من هؤلاء الثلاثة الرجال ، قريب الذي وقع بأيدي اللصوص ؟» فقال : « الذي عامله بالرحمة» . فقال له يسوع : « إذهب فاعمل انت أيضاً مثل ذلك» .

أمام السؤال المحرج الذي طرحه يسوع عليه ، نرى عالم الشريعة يتهرب في إجابته من استعمال التسمية البغيضة لديه « السامري» ، فيجيب بالتورية : « الذي

عامله بالرحمة» .

فقال له يسوع : « إذهب فاعمل أنت أيضاً مثل ذلك» .

بهذه العبارات يعيد يسوع بإلحاح ما قاله في أوّل الحديث : « اعمل هذا تحيَ» (العدد ٢٧) ، بعد ان أوضح مضمون هذه الوصيّة ، لا على الصعيد النظري كما كان ينتظر عالم الشريعة ، بل انطلاقاً من مثل عملي .

خلاصة المثل ان يسوع يجيب عالم الشريعة بما يلي : من الطبيعي ان يكون قريبك أولاً ابن شعبك ، ولكن ينبغي لك ان لا تقف عند هذا الحد . فقريبك انما هو أيضاً كل من كان بحاجة الى معونتك . إن قدوة هذا الهجين المحتقر الذي تخطى في سبيل مساعدة جريح بائس ، فوارق الجنس والدين وحواجز العداء المستحكم ، حريّة بأن تكشف لك أنه ليس من إنسان ، مهما بدا بَعيداً عنك ، إلاّ وينبغي لك ان تكون مستعداً ، إذا كان في الشقاء ، أن تعرِّض حياتك للخطر في سبيله ، لأنه قريبك .

مثل المدين عديم الشفقة

(متى ١٨ : ٢٣ - ٣٥)

إنّ السرّ الأعمق في المحبة التي يتميّز بها التلميذ الحقيقي ليسوع هو أنّ باستطاعة تلك المحبة أن تذهب إلى حدّ الغفران الذي إن مارسه التلميذ يكون قد أعطى من خلاله للآخرين غفران الله الذي اختبره في ذاته قوّة محدّدة له في الأعماق ومحرّرة ، وعرفه غفراناً يفوق كلّ تصوّر . ذلك هو موضوع مثل المدين عديم الشفقة .

العدد ٢٣ : « لذلك مثل ملكوت السماوات كمثل ملك أراد أن يحاسب عبيده » تلك هي الترجمة الصحيحة لما ورد في النصّ الأصليّ ، وليس : « يشبه ملكوت

السماوات ملكاً . . . » . فالملكوت ، هنا ، أو بالأحرى إعلان الملكوت في اليوم الأخير ، يشبّه ، كما في مواضع أخرى ، بتأدية حساب .

« يحاسب عبيده » : إنّ عبارة « عبيد الملك » كانت تشير في الشرق ، كما أنها تشير في الكتاب المقدّس ، إلى الموظفين الكبار .

العدد ٢٤ : « **فلمّا شرع في محاسبتهم جيء إليه بواحد منهم عليه عشرة آلاف بدرة** » . إنّ قيمة البدرة قد اختلفت مع تقلّب الزمن ، إلاّ أنّ المؤرخ يوسيفوس (وهو مؤرّخ يهودي عاش في القرن الأوّل للميلاد) يقدرّها بعشرة آلاف دينار . فتكون إذاً قيمة العشرة آلاف بدرة مائة مليون دينار . (والدينار كما سبق وذكرنا يناسب قيمة الأجر اليوميّ الإعتياديّ لعامل زراعيّ في فلسطين في عهد المسيح) . إنّ هذا المبلغ الهائل يدفعنا إلى افتراض أنّ « عبد » الملك هذا كان حاكماً لإحدى مقاطعات المملكة وإنه كان عليه أن يسلّم الضريبة المجموعة من مقاطعته . مع ذلك تبقى ضخامة المبلغ مبالغاً فيها حتماً ، كما يتّضح إذا عرفنا أنّ الجزية السنوية التي كانت تدفعها مقاطعتا الجليل وبيريا كانت تبلغ قيمتها ، في السنة ٤ قبل الميلاد ، حسب ما يرويه

يوسيفوس ، مائتي بدرة فقط أي جزءاً من خمسين من المبلغ المذكور في المثل . ولكنّ هذه المبالغة مقصودة هنا . ذلك أنّ رقم عشرة آلاف كان أعلى رقم مستعمل حينذاك وكان مدلوله يشير إلى أعظم كمية يستطيع المرء أن يتصوّرها (كقولنا اليوم « مليون مرّة ») كما يتّضح مثلاً من قول الرسول بولس : « ولكني أوثر أن أقول وأنا في الكنيسة خمس كلمات بعقلي أعلّم بها الآخرين على أن أقول عشرة آلاف كلمة بلغة » . كما أنّ البدرة كانت حينذاك أقوى قاعدة ذهبيّة للنقد معروفة في الشرق الأدنى . المقصود ، إذاً ، أنّ الدّين كان يبلغ أضخم رقم ممكن . ومن وراء ضخامة المبلغ التي تفوق كل تصوّر يقصد التذكير بأنه ليس من إنسان قادر أن يفي دَيْنه تجاه الله ، كما من شأنها أن تبرز ، على سبيل التضادّ ، ضآلة مبلغ المائة دينار الذى كان يدين به العبد لرفيقه . هكذا فتأويل المثل يندمج في صلب المثل نفسه : فوراء الملك يتجلّى الله ووراء المدين الإنسان الذي يُنتظر منه أن يدرك عظمة الغفران الذي حظي به وما يلقيه عليه هذا الغفران من مسؤولية تجاه رفاقه في الإنسانية .

أمّا عبارة « جيء إليه بواحد » فتشير إلى أنّ المدين كان

قد طرح في السجن وقد أتي به من هناك ليمثل أمام الملك .

العدد ٢٥ : « ولم يكن عنده ما يقضي به دَيْنه ، فأمر مولاه ببيعه وبيع امرأته وأولاده وجميع ما يملك ليقضي دَيْنه » .

لقد أمر الملك ببيع كلّ ما يملكه هذا « العبد » من أموال منقولة وغير منقولة ، وبالإضافة إلى ذلك ببيعه هو وامرأته وأولاده . ولم يكن الشرع اليهوديّ يسمح ببيع يهوديّ إلاّ إذا أقدم على سرقة ولم يستطع أن يعوّض عمّا سرقه . أمّا بيع الزوجة فكان هذا الشرع يحرّمه بشكل قاطع . يفترض المثل ، إذاً ، أنّ الملك و «عبيده » هم من الوثنيين . أمّا بيع الأولاد فإنّ أحد الأمثال التي قصّها الربّانيون يروي كيف أنّ ملكاً أمر ببيع أبناء أحد مدينيه وبناته ، ويضيف هذا المثل : « وهكذا صار معلوماً أنه لم يعد يملك شيئاً » ، أي أنّ الأولاد هم آخر ما يمكن انتزاعه من إنسان . وقد يتساءل المرء : ما المقصود من بيع العائلة ؟ إذا علمنا أنّ ثمن عبد كان يتراوح في متوسط الأحوال بين خمسمائة دينار وألفي دينار ، رأينا أنّ لا نسبة بين حصيلة بيع العائلة وبين قيمة الدّين الهائلة التي تبلغ ، كما أشرنا ، مائة مليون دينار . فيكون بالتالي أمر

الملك هذا تعبيراً عن غضبه أكثر من أي شيء آخر .

العدد ٢٦ : **« فجثا له العبد ساجداً وقال : « أمهلني أؤدّ لك ما عليّ » .**

يتّخذ المدين موقف المستسلم بالكلية لمشيئة سيّده ويعده بأن يفيه المال ، رغم أنّ تحقيق هذا الوعد مستحيل بالنسبة لضخامة المبلغ الهائلة .

العدد ٢٧ : **« فأشفق مولى ذلك العبد وأطلقه وأعفاه من الدّين » .**

هنا نرى أنّ رفق الملك بـ « عبده » تجاوز ما كان يطلبه ويأمله هذا ، أنه لم يمهله وحسب بل أعفاه من دين كان يستحيل عليه على كل حال أن يفيه.

العدد ٢٨ : **« ولمّا خرج العبد لقي عبداً من أصحابه عليه له مائة دينار . فأخذ بعنقه حتى كاد يخنقه وهو يقول له : « أدّ لي ما عليك » .**

« أخذ بعنقه » : هذا كان أسلوباً يتّبعه الدائن تجاه مدين يصادفه في الطريق فيمسكه من عنقه حتى يمنعه من

الهرب . فإذا تمكّن منه على هذا المنوال طالبه بالـدّين ، وإن لم يستطـع المدين أن يدفـع حالاً ما عليه أُلقي في السجن .

العدد ٢٩ : « **فجثا صاحبه يسأله فيقول : « أمهلني أؤدّه لك »** .

هـذا المدين هو ، على الأرجـح ، أحـد مرؤوسي « العبد » الأوّل ، ولا بدّ أنّه موظف صغير يصعب عليه أن يفي حتى هذا المبلغ البسيط . ونلاحـظ أنّ عبـارات التوسّل التي يستعملها هي نفس العبارات التي أتت على لسان الموظف الكبير عند استرحامه الملك (ما عدا عبارة « كلّ »التـي أستعملهـا هذا إذ قال : أؤدّ لك كلّ ما عليّ) ، مع هذا الفارق أنّ وعده هذا قابل للتحقيق بينما وعد « العبد »الأول لم يكن الوفاء به ممكناً .

العـدد ٣٠ : « **فلـم يرض ، بل ذهـب به وألقـاه في السجن إلى أن يقضي الدّين »** .

« ألقاه في السجن » ولم يبعـه . ذلك أنّـه في الشرع اليهوديّ ، ولا بدّ أيضاً في شرائع أخرى ، لم يكن يسمح ببيع المدين إلاّ إذا كانت قيمة الدّين تتجاوز حصيلة هذا البيع ، وهذا ما لم يكن وارداً بالنسبة لدَيْن تبلغ قيمتـه

مائة دينار ، بينما ثمن العبد كان يتراوح ، كما رأينا ، بين خمسمائة دينار وألفين . ففي هذه الأحوال كانوا ، في بلاد المشرق ، يسجنون المدين لكي يفي دَيْنه بالعمل الذي يؤديه في سجنه أو لكي يفي أهله الدائنين حقّهم . والجدير بالذكر أنّ الشرع اليهوديّ لم يكن يعرف حبس المدين ، وبشكل أعمّ السجن كعقوبة قضائية .

العدد ٣٤ : **« وغضب مولاه فدفعه إلى الجلاّدين ، حتى يؤدي جميع ما عليه »** .

« إلى الجلاّدين» (وقد ورد في النصّ الأصليّ : « إلى المعذِّبين ») : لم يكن التعذيب الجزائي معروفاً في إسرائيل ، وهذا ما يثبت أن يسوع لا يستند في مثله هذا إلى الأوضاع الفلسطينية بل إلى أوضاع شرقيّة أخرى ، إلاّ إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ هيرودس استعمل التعذيب ، غير آبه بالشرع اليهوديّ . ولكن لا يعقل أن تنسب لهيرودس الرحمة التي أبداها ملك المثل وفقاً للعدد ٣٧ . لقد كانت القاعدة في الشرق أن يعذِّب الحكّام الخوَنة أو الذين أهملوا تسديد الضرائب بغية إرغامهم على الإقرار بالمكان الذي أخفوا فيه المال أو في سبيل ممارسة الابتزاز على أهلهم وأصدقائهم . وقد تعمّد

يسوع أن يصف في هذا المثل أساليب قضائية غريبة عن اليهود وكان يعتبرها هؤلاء لا إنسانية (بيع الزوجة والأولاد ، التعذيب) ، بقصد إظهار الطابع الرهيب للعقاب .

« حتى يؤدي جميع ما عليه له » : إذا اعتبرنا ضخامة الدّين ، عنى هذا القول أنّ العقاب لن تكون له نهاية . وهذا ما يشير إلى عذاب أبدي يَزجّ نفسه فيه من أغلق قلبه دون الغفران .

العدد ٣٥ : « **فهكذا يفعل بكم أبي السماويّ ، إن لم يغفر كلّ واحد منكم لأخيه من صميم قلبه** » .

إنّ هذا الغفران « من صميم القلب » يناقض الغفران « من الشفاه » (راجع متى ١٥ : ٨ : « هذا الشعب يكرّمني بشفتيه وأمّا قلبه فبعيد منّي » ، حيث يستشهد يسوع بأشعياء ٢٩ : ١٣) .

هذا المثل يتحدثّ عن الدينونة الأخيرة وينذر قائلاً : أنّ الله قد منحك غفراناً يفوق كلّ تصوّر ، ولكنه سوف يعود عن عفوه هذا إن كنت تحبس عن آخرين هذا الغفران الذي اختبرته أنت، وإذا تصرفت بقسوة قلب تجاه أخيك. إن يسوع ينطلق، هنا، كما في مواضع

أخرى من الإنجيل (راجع متى ٧ : ١ ؛ ٦ : ١٤ ؛ ٥ : ٧ ؛ ٢٥ : ٣١) ، من التعليم اليهوديّ عن القياسين . فقد كانت اليهوديّة تعلّم أنّ لله قياسين يحكم بهما العالم : الرحمة والعدل ، وإنّه في يوم الدينونة تزول الرحمة ويبقى العدل وحده . أمّا يسوع فإنّه يحوّل هذا التعليم بالكلية ، ولذا فليس من باب الصدفة أن لا نجد في الأدب اليهوديّ أي شيء يوازي هذا المثل . ذلك أن يسوع يعلّم هنا أنّ الرحمة ستظلّ سارية المفعول حتى في يوم الدينونة . ولكن متى يستخدم الله قياس الرحمة ومتى يستخدم قياس العدل في ذلك اليوم ؟ عن هذا السؤال يجيب يسوع : إذا أوجد صفح الله الممنوح للإنسان استعداداً لدى هذا الأخير للصفح عن أخيه ، عند ذاك تعفو رحمة الله عن هذا الإنسان في يوم الدين ؛ أمّا الذي يسيء إستعمال عطيّة الله ، فهذا يقع تحت طائل العدالة الإلهية بكلّ صرامتها ، وكأنّه لم يحظ بالصفح بالكليّة (أي بعبارة أخرى : إنّ الذي لا يصفح عن أخيه إنما يثبت أنّه لم يتقبّل الصفح الإلهي بالفعل لأنه لم يتجدّد ولم يتحرّر ولم يتخلّق بأخلاق الله ، ولذا فليس باستطاعته أن يكون له نصيب معه وأن يشاركه في حياته) .

تم طبع هذا الكتاب في شهر شباط ١٩٨٣
في مطبعة النور – تلفون ٢٨٦٩٨٩
ولحساب منشورات النور
بيروت – لبنان